الفصل الدراسيّ الثاني

الوحدة الثالثة

٣ قضايا من الشعر في العصر الحديث

النتاجات الخاصة بالوحدة

يتوقع من الطالب بعد دراسة الوحدة أن:

- يتبين اتجاهات الشعر العربي في العصر الحديث.
- يتعرف أشهر شعراء العصر الحديث، ويسمي دواوينهم، ويقرأ نماذج من أشعارهم.
- يفسر المفاهيم الآتية: عمود الشعر، المعارضات، الوحدة العضوية، شعر التفعيلة، الانزياح الدلالي، الشعر المسرحي.
- يوازن بين الاتجاهات الشعرية الحديثة، ويبين أوجه الشبه والاختلاف بينها.
- يقرأ نصوصًا من الاتجاهات الشعرية الحديثة، ويتعرف مضامينها، ويستنتج خصائصها الفنية.
- يفسر العلاقة بين الاتجاه الشعري والمؤثرات الاجتماعية والسياسية.
- يمتلك قيمًا واتجاهات إيجابيّة؛ مثل: تقدير الشعراء واحترامهم، والحرية والتحرر، والوحدة العربية، وكره الظلم.
- يوضح مظاهر الاتجاه الكلاسيكي، وخصائصه الفنية، ويسمي أبرز رواده.
- يبين ملامح الشعر عند جماعة الديوان، ويسمي أعلامها.
- يعدد موضوعات الشعر عند جماعة أبولو، وخصائصها الفنية، ويسمي أبرز شعرائها.
- يذكر موضوعات شعر المهجر، ويسمي أعلامه.
- يبين موضوعات شعر الثورة العربية الكبرى، ويسمي عددًا من شعرائها.
- يستخلص مبادئ الثورة العربية الكبرى، ويمثل عليها من الشعر.
- يتعرف مفهوم شعر التفعيلة وقضاياه وسماته الفنية وروّاده.
- يتعرف موضوعات شعر المقاومة العربية، ويذكر بعض شعرائها، ويقرأ نماذج من أشعارهم.
- يتبين مراحل شعر المقاومة الفلسطينية، ويذكر أبرز شعرائها.
- يقدر دور الشعر والشعراء في تصوير الواقع وتأريخ الأحداث.

مقدمة حول الأدب في العصر الحديث

تأثر الوطن العربي في بداية العصر الحديث بعوامل سياسية وثقافية واجتماعية تركت آثارًا واضحة في الأدب، إذ خضعت معظم البلاد العربية للاستعمار؛ ما أدى إلى ظهور حركات التحرر الوطنية، مثل ثورة أحمد عرابي في مصر، والثورة العربية الكبرى التي كانت بداية النهضة العربية الحديثة، وشهدت الحركة الثقافية نشاطًا ملحوظًا نتيجة الانفتاح على الحضارة الغربية، وزيادة حركة الترجمة بصفتها وسيلة اتصال بين الشرق والغرب، وإرسال البعثات العلمية إلى أوروبا، والتأثر بالآداب العالمية، وظهور الصحافة التي كانت متنفسًا لكثير من الأدباء والمفكرين في مصر والبلاد العربية الأخرى.

قضايا من الشعر في العصر الحديث

نقف في هذا السياق على أبرز القضايا في حركة الشعر العربي الحديث وهي: من اتجاهات الشعر في العصر الحديث (الاتجاه الكلاسيكي (مدرسة الإحياء والنهضة)، والاتجاه الرومانسي ممثلًا بروافده (جماعة الديوان، وجماعة أبولو، والشعر المهجري))، وشعر الثورة العربية الكبرى، وشعر التفعيلة، وشعر المقاومة.

أولًا: من اتجاهات الشعر في العصر الحديث

١ – الاتجاه الكلاسيكي (مدرسة الإحياء والنهضة)

يطلق هذا الاسم على الحركة الشعرية التي ظهرت في أوائل العصر الحديث، إذ التزم شعراؤها النظم على نهج الشعر العربي في عصور ازدهاره، بالمحافظة على بنية القصيدة العربية واتخاذها مثلًا يُحتذى في أوزانها وقوافيها، ومتانة أسلوبها، وجزالة ألفاظها، وجمال بيانها.

ويمثل هذا الاتجاه جيلان: الجيل الأول، ومن شعرائه: محمود سامي البارودي الذي يعدّ رائد الاتجاه الكلاسيكي، وأحمد شوقي، وحافظ إبراهيم. والجيل الثاني، ومن أشهر شعرائه: معروف الرصافي، ومحمّد مَهدي الجواهريّ، وعمر أبو ريشة.

وقد تمثل إحياء الشعر العربي لدى هذا الاتجاه في مظاهر عدة، أبرزها:

أ – احتذاء نهج الشعراء القدامى في بناء القصيدة من حيث: قوة أسلوبها، وجمال معانيها، والتزام عمود الشعر العربي؛ أي وحدة الوزن والقافية والروي. يقول محمود سامي البارودي في رثاء زوجته، عندما جاءه نبأ وفاتها وهو في منفاه في جزيرة سيلان:

أَيَدَ المَنونِ قَدَحْـــــتِ أَيَّ زِنـادِ ... وَأَطَـــرْتِ أَيَّةَ شُعْلَـةٍ بِفُـــــؤادي

أَمْسَيْتُ بَعْدَكِ عِبْرَةً لِذَوي الأَسـى ... فـــــي يَوْمِ كُلِّ مُصيبَةٍ وَحِـــــدادِ

قَدْ أَظْلَمَتْ مِنْهُ العُيونُ كَأَنَّمـــــا ... كَحَلَ البُكـاءُ جُفـــــونَها بِقَتـــادِ(١)

تَاللهِ ما جَفَّتْ دُموعي بَعْـدَمـــــا ... ذَهَبَ الرَّدى بِكِ يا بْنَةَ الأَمْجـــادِ

لا تَحْسَبيني مِلْتُ عَنْكِ مَعَ الهَوى ... هَيْهاتَ مـــا تَرْكُ الْوَفاءِ بِعـــادي

قَدْ كِدْتُ أَقْضي حَسْرَةً لَوْ لَمْ أَكُـنْ ... مُـتَـوَقِّـعًـا لُـقْـيـاكِ يَـــوْمَ مَـعـادي

فَـعَـلَيْـكِ مِـنْ قَـلْـبي التَّـحِـيَّةُ كُلَّمـا ... نـاحَـتْ مُـطَـوَّقَـةٌ عَـلـى الأَغْـصـانِ(٢)

لَوْ كانَ هذا الدَّهْـــــرُ يَقْبَلُ فِدْيَةً ... بِالـنَّـفْسِ عَـنْـكِ لَـكُـنْـتُ أَوَّلَ فـادِ

أَوْ كانَ يَرْهَبُ صَوْلَةً مِـــنْ فاتِكٍ ... لَفَعَلْتُ فِعْلَ الحارِثِ بْـــنِ عُبادِ(٣)

ب– انتشار شعر المعارضات الذي يعد إحياء حقيقيًّا لعيون الشعر العربيّ القديم. والمعارضات قصائد نسجها قائلوها على نمط قصائد سابقة مشهورة، تشترك معها في الوزن والقافية وموضوعها العام وحرف الرويّ وحركته.

يعدّ شوقي إمام المعارضات الشعرية في العصر الحديث، فقد عارض بائية أبي تمام، وسينية البحتري، ونونية ابن زيدون، ودالية الحصري، وهمزية البوصيري. يقول في قصيدة له مصورًا ألم الغربة والمنفى:

يـا نـائِحَ الطَّلْـحِ أَشْباهٌ عَوادينا ... نَشْجى لِـواديكَ أَم نَـأْسى لِوادينـا

وقد عارض بها نونية ابن زيدون التي مطلعها:

أَضْحى التَّنائي بَديلاً عَنْ تَدانينـا ... وَنابَ عَـــنْ طيبِ لُقْيانا تَجافينـا

---

(١) القتاد: نبات شوكي.

(٢) المطوقة: الحمامة.

(٣) الحارث بن عباد: من سادات العصر الجاهلي وشعرائه وشجعانه، ومن ذوي الرأي في قومه، كان ممن اعتزل حرب البسوس بين بكر وتغلب، ولم يشارك فيها إلا بعد أن قُتِلَ ابنه بجير على يد المهلهل.

ومن شعر المعارضات قول البارودي:

يا رائـــــدَ البَرْقِ يَمِّمْ دارَةَ العَلَمِ وَاحْدُ الغَمامَ إِلـى حَيٍّ بِذي سَلَمِ

معارضًا ميمية البوصيري المشهورة في مدح النبي ﷺ:

أَمِـــــنْ تذَكُّرِ جيرانٍ بِذي سَلَـمِ مَزَجْتَ دَمْعًا جَرى مِـنْ مُقْلَةٍ بِدَمِ

جـ- التفاعل مع الأحداث السياسية والاجتماعية؛ ما أدى إلى ظهور أغراض شعرية جديدة مثل: الشعر الوطني، والدعوة إلى التعليم ومواكبة النهضة الحديثة. يقول شوقي مادحًا المعلّم وداعيًا إلى احترامه وتقديره، ومُشيدًا بدوره في بناء الحضارة، وغرس قيم الفضيلة وتعليم الناشئة، وتبدو النزعة الخطابية في هذا القول:

قُـمْ لِـلـمُعَـلِّـمِ وَفِّـهِ التَّبْـجـيـلا كـادَ المُعَلِّمُ أَنْ يَكـــونَ رَسولا

أَعَلِمتَ أَشْرفَ أَوْ أَجَلَّ مِـنَ الَّــذي يَبْنـــي وَيُنْشِئُ أَنْفُسًا وَعُـقولا

فَهُوَ الَّـذي يَبْنـــي الطِّبـاعَ قَـويـمةً وَهُوَ الَّذي يَبْـنـي النُّفـوسَ عُدولا

وَإِذا المُعَلِّمُ لَـــمْ يَكُـنْ عَدْلاً مَشى روحُ العَدالةِ في الشَّبابِ ضَئيلا

وَإِذا أُصيبَ القَومُ فـــي أَخْلاقِـهِمْ فَأَقِـمْ عَـلَـيْـهِـمْ مَـأْتَـمًـا وَعَـويلا

د - تطويع الشعر العربي لفن المسرح على يد أحمد شوقي الذي نظم كثيرًا من المسرحيات الشعرية منها: مصرع كليوباترا، ومجنون ليلى، وعنترة. كما طُوّع الشعر العربي للقصص التاريخي الملحمي؛ فكتب أحمد محرم «الإلياذة الإسلامية» التي تحدث فيها عن سيرة النبي ﷺ، فنظمها في ثلاثة آلاف بيت صوّر فيها حياة النبي الكريم منذ ولادته حتى وفاته، ملتزمًا التسلسل الزمني في عرض الأحداث. ومما جاء في مسرحية مجنون ليلى:

قيس: (مخاطبًا ليلى)

أَنْتِ أَجَّجْتِ في الحَشى لاعِجَ الشَّوْقِ فاسْتَعَرَ(١)

ثمَّ تَخْشَيْنَ جَمْـــــرَةً تَأْكُلُ الجِلْدَ وَالشَّعَرَ

(تظهر على قيس بوادر الإغماء)

ليلى:

فِداكَ أَبي، قَيْسُ، ماذا دَهاكَ؟ تَكَلَّمْ، أَبِنْ قَيْسُ، ماذا تَجِدْ ؟

(١) لاعج الشوق: حرقة القلب من الحب. استعر: توقد واشتعل.

قيس:

أُحِسُّ بَعَيْنَيَّ قَدْ غامَتا وَساقَيَّ لا تَحْمِلانِ الجَسَدْ

ليلى:

يا لَأَبي لِلجارِ، قَيْسٌ صَريعُ النّارِ، مُلْقًى بِصَحْنِ الدّارِ

الخصائص الفنية للاتجاه الكلاسيكي

من النماذج الشعرية السابقة يظهر أن الاتجاه الكلاسيكي:

١- يجاري الشعراء القدامى في تقاليد القصيدة العربية من حيث: وحدة الوزن والقافية والرّوي، وقوة المعاني واختيار الألفاظ من المعجم الشعري القديم (لاعج الشوق، نائح الطلح، مطوقة على الأعواد).

٢- يجدد في أغراضه الشعرية وموضوعاته، فظهر الشعر الوطني والقصصي والمسرحي.

٣- تغلب على أشعاره النبرة الخطابية، كما في قول شوقي:

قُمْ لِلْمُعَلِّمِ وَفِّهِ التَّبْجيلا كادَ الْمُعَلِّمُ أَنْ يَكونَ رَسولا

الأسئلة

١– وضح المقصود بكل من:

المعارضات الشعرية، عمود الشعر العربي، الإلياذة الإسلامية.

٢– بين مظاهر إحياء الشعر العربي القديم لدى مدرسة الإحياء والنهضة مع التمثيل.

٣– بين أوجه التشابه بين مطلع قصيدة محمود سامي البارودي:

سِوايَ بِتَحْنانِ الأَغاريدِ يَطْرَبُ وَغَيْرِيَ بِاللَّذّاتِ يَلْهـو وَيُعْجَبُ

ومطلع بائية الشّريف الرّضي:

لِغَيْرِ العُلا مِنّي القِلا وَالتَّجَنُّبُ وَلَوْلا العُلا ما كُنْتُ في الحُبِّ أَرْغَبُ

٤– اقرأ النص الآتي، ثم أجب عن الأسئلة التي تليه:

قال أحمد شوقي بمناسبة افتتاح الجامعة المصرية في مطلع القرن العشرين:

تـاجَ البِـلادِ، تَـحِـيَّـــــةٌ وَسَلامُ رَدَّتْك مِصْرُ، وَصَحَّتِ الأَحْلامُ

أَرَأَيْتَ رُكْنَ العِلـمِ كَيْـــفَ يُقـامُ؟ أَرَأَيْتَ الاسْتِقْلالَ كَيْـــفَ يُرامُ؟

العِلْمُ فـي سُبُلِ الـحَضـارَةِ وَالـعُـلا حـادٍ لِـكُـلِّ جَـمـاعَـــةٍ، وَزِمـامُ

بانِي المَمالِكِ حِيـنَ تَنْشُـدُ بـانِـيًـا وَمَثـابَـةُ الأَوْطـانِ حِيـــنَ تُضامُ

قامَتْ رُبوعُ العِلْمِ في الوادي، فَهَلْ لِـلـعَـبْـقَـرِيَّـــةِ وَالـنُّـبـوغِ قِيـامُ؟

فَهُما الحَياةُ، وَكُـلُّ دورِ ثَـقـافَـــةٍ أَوْ دورِ تَـعْـلِـيـمٍ هِـــيَ الأَجْـسـامُ

أ – ما الموضوع الذي تناوله أحمد شوقي؟

ب– مثل من النص السابق على الخصائص الفنية الآتية:

ـ اختيار الألفاظ من المعجم الشعري القديم.

ـ النّبرة الخطابية.

جـ– بيّن أثر العلم في الحياة، كما يرى الشاعر.

٢ – الاتجاه الرومانسيّ

ظهر الاتجاه الرومانسي في الأدب العربي الحديث نتيجة تطورات سياسية واجتماعية وثقافية في العالم العربي، ونتيجة الانفتاح على الآداب الغربية بشكل مباشر أو عن طريق الترجمة. وتمثّل الاتجاه الرومانسي في الشعر العربي الحديث في: جماعة الديوان، وجماعة أبولو، وشعر المهجر.

أ – جماعة الديوان

هي حركة تجديدية في الشعر العربي الحديث ظهرت في النصف الأول من القرن العشرين إثر صلات فكرية قامت بين أعلامها: عباس محمود العقاد، وإبراهيم عبد القادر المازني، وعبد الرحمن شكري. وسميت بهذا الاسم نسبة إلى كتاب «الديوان في الأدب والنقد»، وهو كتاب نقديّ ألّفه العقاد والمازني ووضعا فيه مبادئ جماعتهم الأدبية، ورُؤاهم النقدية في الشعر.

تأثرت جماعة الديوان بالثقافة الأدبية الإنجليزية خاصّة، ولا سيّما روادها الذين تأثروا بالأدباء الإنجليز الرومانسيين مثل: «شيلي» (١) و«هازلت»(٢)، ودعوا إلى توخي الصدق الفني في الشعر؛ لأن الشعر لديهم تعبير صادق عن وجدان الشاعر وتجاربه العاطفية وتأملاته النفسية، لذا هاجموا شعر المناسبات الذي كان سائدًا آنذاك، واهتموا بذاتية الشاعر الفردية، وقدموا إلى الأدب العربي عشرات الدواوين الشعرية منها: «ضوء الفجر» لعبد الرحمن شكري، و«هدية الكروان» و« عابر سبيل» للعقاد، وديوان المازني.

ومن أبرز الملامح التي تناولها شعر جماعة الديوان:

١. التعبير عن النفس الإنسانية وما يتصل بها من تأملات فكرية ونظرات فلسفية ناشئة عن تجارب نفسية ذاتية يرصد فيها الشاعر انفعالاته وتأملاته وأفكاره، فأكثروا من الحديث عن حقائق الكون وأسرار الوجود، وعالم المجهول. يقول عبد الرحمن شكري في قصيدة بعنوان (إلى المجهول):

---

(١) بيرسي شيلي: شاعر إنجليزي رومانسي، من أبرز أعماله " انتصار الحياة"، (ت ١٨٢٢م).

(٢) وليم هازلت: شاعر إنجليزي، من أبرز أعماله "حديث المائدة"، (ت ١٨٣٠م).

يَحوطُني مِنْكَ بَحْـــرٌ لَسْتُ أَعْرِفُـهُ وَمَهْـمَهٌ لَسْـــتُ أَدْري مـا أَقاصيـهِ(١)
أَقْضي حَياتي بِنَفْسٍ لَسْتُ أَعْرِفُهـــا وَحَوْلِيَ الكَـوْنُ لَمْ تُدْرَكْ مَجاليـهِ
لَيْسَ الطُّموحُ إِلى المَجْهولِ مِنْ سَفَهٍ وَلا السُّمُوُّ إِلى حَقٍّ بِمَكْـــــروهِ

٢. التفاعل مع موضوعات الطبيعة الحسية، فالشاعر يفيض عليها من تأملاته وخواطره. فقد خاطب العقاد طائر الكروان المغرّد حين وجد نفسه فيه، فهو صوته الذي يشدو به، وضميره الذي يبوح بأسراره، وقلبه الصغير الذي يباري خفق الربيع بخفقاته، وعينه التي تمنح النعاس وتبخل عليه بالأحزان، إنه يتحد بطائر الكروان اتحادًا تامًّا، وتبدو النزعة الذاتية جليّة بتوظيف ضمير المتكلم، يقول:

أَنا في جَناحِكَ حَيثُ غاب مَعَ الدُّجى وَإِنِ اسْتقَرَّ عَلـى الثَّرى جُثْمـاني
أَنا فـي لِسانِكَ حَيْثُ أَطْلَقَـهُ الهَـوى مَرِحًا وَإِنْ غَلَـبَ السُّـرورُ لِسـاني
أَنا فـــي ضَميرِكَ حَيْثُ باحَ فَمـا أَرى سِرًّا بِغَيْبَتِـه ضَمـــيرُ زَمـانـــي
أَنا مِنْكَ فـــي القَلْبِ الصَّغيرِ مُساجِلٌ خَفْـــــقَ الرَّبيعِ بِذلِكَ الخَفَـقـانِ
أَنا مِنْكَ فـــي العَيْنِ الَّتي تَهَبُ الكَرى وَتَضَنُّ بِالصَّحَـــواتِ وَالأَشْجـانِ

٣. الحديث عن الشكوى والألم، والإحساس بالضيق والسأم؛ لذلك جاءت بعض أشعارهم تصويرًا لتلك المعاناة. يقول المازني في قصيدة طويلة مطلعها:

قَدْ وَجَدْتُ السُّهْدَ أَهْـدى لِلأَسى وَوَجَـدْتُ النَّـوْمَ أَشْجـى لِـلْحَشـى(٢)
شَـــدَّ ما يَظْلِمُنـا الدَّهْرُ، أَفـــي يَقَـظَـةٍ دُنْيـا وَأُخْرى فـي الكَـرى؟(٣)
وَيْـلُ هَـذا القَلْـبُ مِنْ صَرْفِـهِمـا لا الكَـرى أَمْـنٌ وَلا الـسُّـهْـدُ حِمـى
الرَّدى إِنْ كانَ لا مَنْجى الـرَّدى إِنَّـهُ لِـلـنَّـفْـسِ غَـــوْثٌ وَنَـجـــا

٤. التجديد في الأوزان والقوافي، ومن ذلك ظهور الشعر المرسل الذي يتقيد بالوزن ويتحرر من القافية، متأثرين بالثقافة الرومانسيّة التي تحطّم كل السدود التي تقف أمام الشاعر في الصياغة والأوزان والقوافي؛ كي يتاح للشّاعر الحرية الكاملة في التعبير

---

(١) مهمهٌ: صحراء واسعة.
(٢) السهد: الأرق وامتناع النوم.
(٣) الكرى: النوم.

عن تجربته الذاتية، وتصوير خوالجه النفسية. يقول عبد الرحمن شكري في قصيدته (كلمات العواطف):

خَـليـلَيْ وَالإِخـاءُ إلـى جَـفـاءٍ إِذا لَمْ يُغْـذِهِ الشَّـوْقُ الصَّحيـحُ
يَقولونَ: الصِّحابُ ثِمارُ صِـدْقٍ وَقَـدْ نَبْلو المَرارةَ في الثِّمـارِ
شَكَوْتُ إِلى الزَّمان بَني إِخـائي فَجـاءَ بِـكَ الزَّمـانُ كمـا أُريدُ

إذ يظهر هنا تنويع الشاعر في القافية والرويّ.

٥. المحافظة على الوحدة العضوية في القصيدة، حيث تكون القصيدة جسدًا واحدًا، فلا بد أن يلتحم كل بيت بما قبله وبما بعده، ويستلزم ذلك وحدة الموضوع، ووحدة المشاعر التي يثيرها الموضوع، وما يترتب على ذلك من ترتيب الصور والأفكار، وبذلك تكون القصيدة كالكائن الحي، لكل عضو وظيفته، ومن الأمثلة على ذلك قصيدة (آه من التراب) التي قالها العقاد في رثاء الأديبة مي زيادة، ومطلعها:

أَيْنَ في المَحْفِلِ «مَيٌّ» يا صِحابْ؟ عَوَّدَتْنا ها هُنا فَصْلَ الخِطابْ

الخصائص الفنية لشعر جماعة الديوان

من أهم خصائص شعر جماعة الديوان أنه:

١- ينحو إلى التجديد في المعاني الشعرية بالتركيز على الذات والهيام بالطبيعة ومعالجة الموضوعات النفسية والانصراف عن شعر المناسبات. ويبدو ذلك مثلًا في مخاطبة العقاد طائر الكروان المغرّد.

٢- يهتمّ بتحقيق الوحدة العضوية للقصيدة.

٣- يطغى على بعض مضامينه الجانب الفكري الفلسفي كما في قول عبد الرحمن شكري:

يَـحـوطُـني مِنْـكَ بَحْـرٌ لَسْتُ أَعْـرِفُـهُ وَمَهْـمَهٌ لَسْـتُ أَدْري مـا أَقاصيهِ
أَقْـضي حَـياتي بِـنَـفْسٍ لَسْتُ أَعْرِفُهـا وَحَوْلِيَ الكَـوْنُ لَمْ تُدْرَكْ مَجاليـهِ

الأسئلة

١– سَمِّ الأعلام الثلاثة لجماعة الديوان.

٢– وضح المقصود بكل من: الشعر المرسل، والوحدة العضوية.

٣– بين بعض الموثّرات الثقافية في شعر جماعة الديوان.

٤– اذكر ثلاثة ملامح تناولها شعراء جماعة الديوان، ومثل عليها.

٥– علل ما يأتي:

أ – تسمية جماعة الديوان بهذا الاسم.

ب– ابتعاد جماعة الديوان عن شعر المناسبات والمجاملات.

جـ – دعوة جماعة الديوان إلى توخي الصدق الفني في الشعر.

د – ميل جماعة الديوان إلى التجديد في الشعر العربي.

هـ – يغلب على شعر جماعة الديوان العمق والغموض.

٦– وازن بين جماعة الديوان والاتجاه المحافظ من حيث: اللغة، والمؤثرات الخارجية، والالتزام بعمود الشعر العربي.

٧– يقول عباس العقاد:

وَالعَقْلُ مِـــنْ نَسْلِ الحَياةِ وَإِنَّما قَدْ شابَ وَهْيَ صَغيرَةٌ تَتَزَيَّـنُ
وَالطِّفْلُ تَصْحَبُهُ الحَياةُ وَما لَـــهُ لُبٌّ يُصاحِبُ نَفْسَـــهُ وَيُلَقَّـنُ
إِنَّ العَواطِـــفَ كَالزِّمـــامِ يَقودُنا مِنْها دَليلٌ لا تَـــراهُ الأَعْيُـــنُ

أ – مثّل من النص على طغيان الجانب الفكري الفلسفي على المضمون.

ب– أَبْدِ رَأْيَك في النّصّ من حيث الألفاظ والمعاني.

النشاط

- اقرأ النص الآتي من كتاب الديوان، واستخلص منه صفات الشاعر المبدع من وجهة نظر جماعة الديوان، ثم اقرأها على زملائك.

«اعلم أيها الشاعر العظيم أن الشاعر من يشعر بجوهر الأشياء لا من يعددها ويحصي أشكالها وألوانها، وأن ليست مزية الشاعر أن يقول لك عن الشيء ماذا يشبه، وإنما مزيته أن يقول ما هو، ويكشف لك عن لُبابه وصلة الحياة به، وليس هَمّ الناس من القصيد أن يتسابقوا في أشواط البصر والسمع، وإنما همهم أن يتعاطفوا، ويودع أحسُّهم وأطبعُهم في نفس إخوانه زبدةَ ما رآه وسمعه وخلاصة ما استطابه أو كرهه، وما ابتُدع التشبيه لرسم الأشكال والألوان، فإن الناس جميعًا يرون الأشكال والألوان محسوسة بذاتها كما تراها، وإنما ابتُدع لنقل الشعور بهذه الأشكال والألوان من نفس إلى نفس، وبقوة الشعور وتيقظه وعمقه واتساع مداه ونفاذه إلى صميم الأشياء يمتاز الشاعر على سواه » (١).

(١) كتاب الديوان: ص ٤.

ب- جماعة أبولو

هي إحدى المدارس الأدبية في الأدب العربي الحديث، ضمت بعض شعراء الاتجاه الرومانسيّ في مصر والعالم العربي، وسميت بذلك نسبة إلى إله الموسيقا والشعر عند الإغريق.

وثمة عوامل أسهمت في ظهورها وتأسيسها من أهمها: الجدل الذي احتدم بين الاتجاه المحافظ وجماعة الديوان، وتراجع الإنتاج الشعري لجماعة الديوان، وزيادة الانفتاح على الآداب الغربية، والتأثر بأدب المهجر.

ومن أشهر رواد جماعة أبولو وبعض دواوينهم: مؤسسها أحمد زكي أبو شادي «الشفق الباكي»، وإبراهيم ناجي «وراء الغمام»، وعلي محمود طه «الملاح التائه»، وأبو القاسم الشابي «أغاني الحياة»، ومحمود حسن إسماعيل «تائهون».

وقد بعث أصحاب هذه الجماعة جوًّا شعريًّا جديدًا يمزج بين تراث الشعر العربي القديم والأدب الأوروبي الحديث، فدعوا إلى الوحدة العضوية للقصيدة، وابتعدوا عن شعر المجاملات والمناسبات؛ فالشعر عندهم تجربة ذاتية تنبع من الأعماق، ودعوا إلى طَرْق موضوعات جديدة، وتناولوا الأشياء البسيطة المألوفة بروح إنسانية وتأمّل فكري، ولم يدخلوا في معارك جدلية مع شعراء الاتجاهات الشعرية الأخرى، ونظروا إليها نظرة احترام وتقدير، فاختاروا أحمد شوقي رئيسًا لجماعتهم تكريمًا له، واستكتبوا العقاد في مجلتهم.

من أبرز الموضوعات التي تناولها شعراء جماعة أبولو:

١. الانغماس في الطبيعة، والتعلق بجمالها، وتشخيصها ومناجاتها، فهي ملاذهم الآمن الذي بثوا إليه مشاعرهم، وجعلوها تشاركهم أحاسيسهم، وابتعدوا عن وصفها التقليدي، وأكثروا من التعبير عن معانيهم بالصورة الشعرية، يقول علي محمود طه:

أُفُقُ الأَرْضِ لَمْ يَزَلْ في حَواشيهِ ... صَدًى حائِرٌ بِأَلْحانِ طَيْرِ

وَعَلى شاطِئِ الغَديرِ وُرودٌ ... أَغْمَضَتْ عَيْنَها لِمَطْلَعِ فَجْرِ

وَسَرى الماءُ هادِئًا في حوافيـ ... ـهِ يُغَنّي ما بينَ شَوْكٍ وَصَخْرِ

وَكَأَنَّ النُّجومَ تَسْبَحُ فيهِ ... قُبُلاتٌ هَفَتْ بِحالِمِ ثَغْرِ

وَكَأَنَّ الوُجودَ بَحْرٌ مِنَ النّورِ ... عَلى أُفْقِهِ المَلائِكُ تَسْري

٢. الاهتمام بالحبّ، والحديث عن المرأة، وعلاقة العاشق بالمعشوق، والشعور بالألم والحرمان، والإحساس بالغربة إذا غاب الحبيب. يقول إبراهيم ناجي في قصيدة (الغريب) معبرًا عن تجربته الشعرية الذاتية التي تنبع من الأعماق:

يا قاسِيَ القَلْبِ كَيْـــفَ تَبْتَعِدُ؟ إِنّي غَريبُ الفُؤادِ مُنْفَـــرِدُ
إِنْ خانَني اليَوْمَ فيكَ قُلْـتُ غَدًا وَأَيْنَ مِنّي وَمِنْ لُقاكَ غَـــدُ
مِلْءَ ضُلوعـــي لَظًى وأَعْجَبُهُ أَنّــي بِـهـذا الـلَّـهـيـبِ أَبْتَرِدُ
يا تارِكي حَيْـــثُ كانَ مَجْلِسُنا وحَيْـــثُ غَنّاكَ قَلْبِيَ الغَرِدُ
إِنّي غَـريـبٌ تـعـالَ يا سَـكَـنـي فَلَيْسَ لي في زحامِهِمْ أَحَـدُ

٣. الاستمتاع بحياة الريف وبساطتها وطيب أهلها، والحديث عن الرعاة ومظاهر الحياة في الريف، والدعوة إلى الانصراف عن حياة المدينة، فالشّابي في قصيدة (من أغاني الرعاة) يمزج بين عناصر اللون والصوت والرائحة والحركة، ويوظف الألفاظ الموحية، ويضفي عليها دلالات أخرى؛ فالضباب مستنير، ومعروف أنّ الضباب يكون كثيفًا قاتمًا يحجب الرؤية، لكن الشاعر أراد له دلالة أخرى تتناسب مع جو القصيدة، يقول:

فَـأَفـيـقـي يا خِـرافـي وهَـلُـمّـي يـا شِـيـاهْ
وَاتْبَـعـيـنـي يـا شِياهـي بَـيْـنَ أَسْـرابِ الـطُّـيـورْ
وَامْـلَـئـي الـوادي ثُـغـاءً وَمِـراحًـا وَحُـبـورْ
وَاسْمَعي هَمْسَ السَّواقي وانْشُقي عِطْرَ الزُّهورْ
وَانْظُري الوادي يُغَشّيْـ ـهِ الضَّبابُ المُسْتَنيـرْ

٤. الحنين والشوق إلى الوطن والذكريات الجميلة، يقول أحمد زكي أبو شادي في قصيدة (المناجاة) في أثناء وجوده في الولايات المتحدة الأمريكية مشتاقًا إلى وطنه:

طَرَفَتْ، فَلَمّا اغْرَوْرَقَتْ عَيْنـي وَصَحَتْ صَحَوْتُ لِلَوْعَةِ البَيْنِ
خَمْسٌ مِنَ السَّنَواتِ قَدْ ذَهَبَتْ بِأَعَـزِّ مـا سَـمَّيْتُـهُ وَطَنـي
مَـنْ ذا يُحِسُّ شُعورَ مُغْتَرِبٍ غَيْـرُ الـرَّبيـعِ بِدَمْعِهِ الهَتِنِ (١)

(١) هَتَنَ الدمع يعني قطَرَ.

الخصائص الفنية لشعر جماعة أبولو

باستعراض النماذج الشعرية السابقة نجد أن شعر جماعة أبولو:

١- يميل إلى التشخيص والتجسيم من خلال استخدام الصورة الشعرية، فعندما تقرأ مقطوعة شعرية تتخيلها مرسومة أمامك ، مثال ذلك قول علي محمود طه:

وَعَلـــى شـاطِئِ الـغَـديـرِ وُرودٌ أَغْمَضَتْ عَيْنَها لِمَطْلَعِ فَـجْـرِ

وَسَرى الماءُ هادِئًا فـي حَوافيــه يُغَنّي ما بَيْنَ شَوْكٍ وَصَخْـــــرِ

٢- يستخدم الألفاظ الموحية، فتنتقل الألفاظ البسيطة المألوفة إلى معانٍ بعيدةٍ. مثل قول إبراهيم ناجي:

مِـلْءَ ضُـلوعـي لَـظًى وَأَعْـجَبُـهُ أَنّـــي بِـهذا اللَّـهـيـبِ أَبْتَرِدُ

ينطوي هذا البيت على مفارقة، فكيف يُبترَد باللهيب؟ لكن الشاعر وظف هذا اللفظ بما يتناسب مع جو القصيدة، وكذلك حين وظف الشابّي الضباب الذي يحجب الرؤية فجعله مستنيرًا في قوله:

وَانْظُـري الوادي يُغَشّـيْـ ـهِ الضَّبـابُ المُسْتَنيـــرْ

٣- يهتم بالتجربة الشعرية، فالقصيدة تنبع من أعماق الشاعر حين يتأثر بشيء ويستجيب له استجابة انفعالية؛ كما في قصيدة (الغريب) لإبراهيم ناجي.

الأسئلة

١– اذكر العوامل التي أسهمت في نشأة جماعة أبولو.

٢– كيف نظرت جماعة أبولو إلى الاتجاهات الشعرية الأخرى؟

٣– اذكر اثنين من الموضوعات الشعرية التي تناولتها جماعة أبولو، مع التمثيل.

٤– علل ما يأتي:

أ – تسمية جماعة أبولو بهذا الاسم.

ب– ابتعدت جماعة أبولو عن شعر المناسبات والمجاملات.

جـ– أكثرت من شعر مناجاة الطبيعة.

٥– استنتج أوجه الشبه والاختلاف بين جماعة الديوان وجماعة أبولو من حيث الموضوعات التي تناولها شعراء كل جماعة.

٦– اقرأ النص الآتي للشاعر أبي القاسم الشابيّ، ثم أجب عن الأسئلة التي تليه:

سَوْفَ أَتْلو عَلى الطُّيورِ أَناشيـ ـدي وَأُفْضي لَها بِأَشْواقِ نَفْسي
فَهْي تَدْري مَعْنى الحَياةِ، وَتَدْري أَنَّ مَجْدَ النُّفوسِ يَقْظَةُ حِسِّ
ثُمَّ أَقْضي هُناك، في ظُلْمَةِ اللَّيْـ ـلِ وَأُلْقي إِلى الوُجودِ بِيَأْسي
ثُمَّ تَحْتَ الصَّنَوْبَرِ، النّاضِرِ، الحُلْـ ـوِ تَخُطُّ السُّيولُ حُفْرَةَ رَمْسي
وَتَظَلُّ الطُّيورُ تَلْغو عَلى قَبْري وَيَشْدو النَّسيمُ فَوْقي بِهَمْسِ

أ – ما الموضوع الذي تناولته القصيدة السابقة؟

ب– مثّل من القصيدة السابقة على الخصائص الفنية الآتية:

– التشخيص والتجسيم.

– استخدام الألفاظ الموحية.

– التعبير بالصورة الشعرية.

جـ- شعر المَهْجر

يطلق شعر المهجر على الشعر الذي نظمه الشعراء العرب الذين هاجروا من بلاد الشام إلى أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية في أواخر القرن التّاسع عشر، وكونوا روابط أدبية وأصدروا صحفًا ومجلات أدبيّة تهتم بشؤونهم.

وقد تأثر العالم العربي بظروف سياسية واجتماعية واقتصادية أُشير إليها في فاتحة هذا العصر، كما شهدت بعض البلاد العربية فِتَنًا داخلية، وحروبًا أهلية أدت إلى هجرة بعض العائلات العربية إلى الأمريكيتين، وهناك نشطت الجاليات العربية في الحفاظ على هويتها ولغتها؛ فأسست روابط أدبية، وأصدرت مجلات ثقافية، ومثّل شعراء المهجر الرومانسية العربية خارج الوطن. وقد ظهر النشاط الأدبي لشعراء المهجر في رابطتين أدبيتين هما:

١. الرابطة القلمية في المهجر الشمالي: أُسِّست في نيويورك سنة (١٩٢٠م)، وترأسها جُبران خليل جُبران صاحب ديوان « المواكب». ومن روادها وبعض دواوينهم: إيليّا أبو ماضي «الجداول»، وميخائيل نُعَيمة « همس الجفون»، ونَسيب عَريضَة «الأرواح الحائرة» وغيرهم. وقد برزت لدى شعراء هذه الرابطة عناصر التجديد في الرؤية واللغة والإيقاع بروزًا واضحًا، الأمر الذي كان له صداه الواسع في تطور حركة الشعر العربي الحديث في المهجر والعالم العربي على حدٍّ سواء.

٢. العصبة الأندلسية في المهجر الجنوبي: أُسِّست في البرازيل سنة (١٩٣٢م)، وترأسها الشاعر القرويّ رَشيد خوري صاحب ديوان « لكل زهرة عبير»، ومن روادها: فوزي المعلوف، وإلياس فرحات وغيرهما.

وقد عاش شعراء المهجر أجواء الحرية والانفتاح في البلاد الجديدة، واختلطوا بالسكان الأصليين وتأثروا بالأدب الأمريكي، واكتووا بنار الغربة والبعد عن الأهل والأوطان؛ فجاء شعرهم سلسًا رقيقًا صادقًا، ولغتهم سهلة واضحة، ومالوا إلى التجديد في الشعر.

ومن أبرز موضوعات شعر المهجر:

١. **الحنين إلى الوطن:** عبّر شعراء المهجر عما يختلج في نفوسهم من حنين وشوق إلى أوطانهم، وحسرتهم على فراق أهلهم بمشاعر صادقة وألفاظ بسيطة رقيقة، يقول رشيد أيوب مشتاقًا إلى أهله:

وَإذا ما ذَكَرْتُ الأَهلَ فيه فَإِنَّني لدى ذِكْرِهم أَسْتَمْطِرُ الدَّمْعَ مُنصَبّا
أُعَلِّلُ نَفْسي إِنْ يَئِسْتُ بِعَودَةٍ وَلكِنَّها الأيّامُ تَأبَى لَها تَأبّا

٢. **التّفاؤل والأمل:** دعا شعراء المهجر إلى التفاؤل والنظر إلى الحياة بإيجابية، فالإنسان يُنغّص عيشه بيده، فإذا كانت نفسه جميلة يرى الحياة جميلة بهيجة، وإذا كانت نفسه مريضة، يرى الحياة ثقيلة، يقول ميخائيل نعيمة داعيًا إلى التفاؤل والأمل بكل ما هو جميل:

إذا سَماؤكَ يَوْمًا تَحَجَّبَتْ بِالغُيومْ
أَغْمِضْ جُفونَكَ تُبْصِرْ خَلْفَ الغُيومِ نُجومْ
وَالأَرْضُ حَوْلَكَ إِمّا تَوَشَّحَتْ بِالثُّلوجْ
أَغْمِضْ جُفونَكَ تُبْصِرْ تَحْتَ الثُّلوجِ مُروجْ

٣. **التسامح والتعايش:** عاش العرب في المهجر حياة تقوم على التعايش، والاحترام المتبادل، والتسامح ونبذ التعصب، فنجدهم يشاركون بعضهم بعضًا في مناسباتهم، يقول إلياس فرحات مفتخرًا بالإسلام وممجدًا هذا الدين العظيم:

سَلامٌ عَلى الإِسْلام أَيّام مَجْدِهِ طَويلٌ عَريضٌ يَعْمُرُ الأَرْضَ وَالسَّما
نَما فَنَمَتْ في ظِلِّهِ خَيْرُ أُمَّةٍ أَعَدَّتْ لِنصْرِ الحَقِّ سَيْفًا وَمِرْقَما (١)
فَكانَتْ لَها الدُّنيا وَكان لَها العُلى وَكان بَنوها في الدَّياجيرِ أَنْجُما (٢)

ويقول رشيد سليم الخوري في ذكرى المولد النبويّ:

عيدُ البَرِيَّةِ عيدُ المَوْلِدِ النَّبَوي في المَشْرِقَيْنِ لَهُ وَالمَغْرِبَيْنِ دَوي
عيدُ النَّبِيِّ ابْنِ عَبْدِ اللهِ مَنْ طَلَعَتْ شَمْسُ الهِدايَةِ مِنْ قُرْآنِهِ العُلُوي
فَإِنْ ذَكَرْتُمْ رَسولَ اللهِ تَكْرِمَةً فَبَلِّغوهُ سَلامَ الشّاعِرِ القَرَوي

---

(١) المرقم: القلم.

(٢) الدياجير: الظلمات، مفردها الديجور.

٤. **النزعة الإنسانية:** رأى شعراء المهجر أن الشعر تعبير عن موقف إنساني، وله رسالة سامية ينقلها الشاعر إلى الناس بلغة سهلة واضحة، تدعو إلى القيم العليا: الحق والخير والجمال والحرية والعدل والحبّ، ويهتف نَسيب عَريضة في قصيدته (يا أخي) داعيًا إلى الحقّ والتعاون وإيقاد شعلة الأمل ومقابلة الإساءة بالمعروف:

فَلْنَسِرْ أَعْزَلينِ إِلّا مِنَ الـحَـقِّ سِلاحًا وَالفِكْـــرُ حادٍ وَقائِدْ
وَإذا اشْتَدَّتِ الذِّئـابُ عُـواءً فَلْنُقابِلْ عُواءَهـا بِالنَّشائِـــدْ
وَإذا احْلَوْلَكَ الظَّـلامُ أَضَأْنا مِشْعَلَ القَلْبِ مِثْلَ نارِ المَواقِدْ

وقد كرهوا القيم السلبية كالظلم والأنانية والبخل والشرّ، ووظفوا الرمز للتعبير عن القيم السلبية كما في قصيدة (التينة الحمقاء) لإيليا أبي ماضي رمزًا للإنسان الأناني الذي يبخل بخيره على الناس، يقول:

وَظَلَّتِ التّينَةُ الحَـمْقاءُ عـــارِيَةً كَأَنَّها وَتَـدٌ في الأَرْضِ أَوْ حَـجَـرُ
وَلَمْ يُطِقْ صـاحِبُ البُسْـتانِ رُؤْيَتَها فَاجْتَثَّها فَهَوَتْ في النّـارِ تَسْـتَعِرُ
مَنْ لَيْسَ يَسْخو بِما تَسْخو الحَياةُ بِهِ فَإِنَّهُ أَحْـمَقٌ بِالحِـرْصِ يَنْتَحِرُ

٥. **الاتجاه إلى الطبيعة:** اتّجه شعراء المهجر – شأن شعراء الرومانسية – إلى الطبيعة يتأملونها، ويندمجون فيها، ويضفون عليها الحياة حتى جسدوها وجعلوها تشاركهم همومهم، ومالوا إلى التشخيص والتجسيم والنظرة التأملية، يقول ميخائيل نُعيمة في قصيدة (النهر المتجمد) مخاطبًا نهرًا متجمدًا، ويرى فيه رمزًا لقلبه الذي جمدت أمانيه، ويلحظ تحرر الشاعر من القافية الموحدة:

يا نَهْرُ هَلْ نَضَبَتْ مِياهُكَ فَانْقَطَعْتَ عَنِ الخَريرْ؟
أَمْ قَـدْ هَرِمْتَ وَخارَ عَزْمُكَ فَانْثَنَيْتَ عَنِ المَسيرْ؟
بِالأَمْـسِ كُـنْـتَ مُرَنَّمًا بَيْنَ الـحَـدائِـقِ وَالزُّهـورْ
تَتْلو عَـلى الدُّنْـيـا وَمـا فـيـهـا أَحـاديـثَ الـدُّهـورْ
بِالأَمْسِ كُنْتَ تَسيرُ لا تَخْشى المَوانِعَ في الطَّريقْ

وَاليَوْمَ قَدْ هَبَطَتْ عَلَيْكَ سَكينَةُ اللَّحْدِ العَميقْ
قَدْ كانَ لي يا نَهْرُ قَلْبٌ ضاحِكٌ مِثْلَ المُروجْ
حُرٌّ كَقَلْبِكَ فيهِ أَهْواءٌ وَآمالٌ تَموجْ
يا نَهْرُ! ذا قَلْبي أَراهُ كَما أَراكَ مُكَبَّلا
وَالفَرْقُ أَنَّكَ سَوْفَ تَنْشَطُ مِنْ عِقالِكَ، وَهْوَ لا

٦. **الدعوة إلى القومية العربية**، فهذه القومية تمجد اللسان العربي وتنادي بإقامة الدولة العربية التي تؤمن بالتراث العربي الخالد، والمصير المشترك. يقول الشاعر أبو الفضل الوليد داعيًا إلى الوحدة العربية:

فَأَعْظِمْ وَأَكْرِمْ بِاتِّحادٍ وَنِسْبَةٍ إِلى دَوْلَةٍ تَمْتَدُّ في الشَّرْقِ وَالغَرْبِ
وَما هِيَ إِلّا أُمَّةٌ عَرَبِيَّةٌ دَمًا وَلِسانًا لَيْسَ تُفْصَلُ بِالتُّرْبِ

الخصائص الفنية لشعر المهجر

من النماذج السابقة نجمل أهمّ الخصائص الفنية لشعر المهجر بما يأتي:

١- يوظف الرمز للتعبير عن بعض المعاني التأملية والإنسانية، فقد رأى إيليا أبو ماضي في التينة الحمقاء رمزًا للإنسان الأناني.

٢- يميل إلى التجديد في الموضوعات والتركيز على القيم الإنسانية كالتسامح والتعايش والتعاون، وتجلى ذلك في شعر إلياس فرحات ورشيد الخوري.

٣- ينظم على الأوزان القصيرة والمجزوءة، ويشيع فيه التحرر من القافية الموحدة، كما في قصيدة (النهر المتجمد) لميخائيل نُعيمة.

الأسئلة

١– اذكر الرابطتين الأدبيتين اللتين أسسهما شعراء المهجر.

٢– استخلص من خلال ما درست العوامل التي أثرت في الشعراء المهجريين.

٣– انسب الدواوين الشعرية الآتية إلى شعرائها:

لكل زهرة عبير، همس الجفون، المواكب، الجداول.

٤– علل ما يأتي:

أ – من أبرز موضوعات شعر المهجر الحنين إلى الوطن.

ب– ساد التسامح والتعايش بين المهجريين.

جـ– عبر شعراء المهجر عن القيم الإنسانية في شعرهم.

د – غلب على شعر المهجر الصدق والسلاسة والوضوح.

٥– وازن بين شعر المهجر وجماعة أبولو من حيث:

الاتجاه إلى الطبيعة، اللغة، التجديد في الشعر.

٦– استنتج الموضوع الذي يمثله كل بيت مما يأتي:

أ – يقول إيليا أبو ماضي:

يا أَخي لا تَمِلْ بِوَجْهِكَ عَنّي ما أَنا فَحْمَةٌ وَلا أَنْتَ فَرْقَدْ

ب– يقول محبوب الخوري:

وَمُحَمَّدٌ بَطَلُ البَرِيَّةِ كُلِّها هُوَ لِلأَعارِبِ أَجْمَعينَ إِمامُ

جـ– يقول نعمة الحاجّ:

تَذَكَّرْتُ هاتيكَ الرُّبوعَ وَأَهْلَها وَيا حَبَّذا تِلْكَ الرُّبوعُ الزَّواهِيا

د – يقول إلياس فرحات:

إِنّا وَإِنْ تَكُنِ الشَّآمُ دِيارَنا فَقُلوبُنا لِلعُرْبِ بِالإِجْمالِ

٧– اقرأ النص الآتي من قصيدة (ابتهالات) لميخائيل نُعيمة، ثم أجب عن الأسئلة التي تليه:

وَاجْعَلِ اللَّـهُمَّ قَلْبي واحَةً
تَسْقي القَريــبْ
وَالغَريــبْ

ماؤُهــا الإيمــانُ، أَمّا غَرْسُها فَالرَّجا وَالــحُبُّ وَالصَّبْرُ الطَّويــلْ
جَوُّها الإِخْلاصُ، أَمّا شَمْسُها فَالــوَفا وَالصِّــدْقُ وَالحُلْمُ الجَميــلْ
فَإِذا ما راحَ فكْــري عَـبَـثًا في صَحاري الشَّكِّ يَسْتَجْلي البَقــاءْ
مَرَّ مَنْـهـوكًا بِقَـلْبــي فَـجَـثا تـائِبًـا يَـمْـتَـصُّ مِـن قَلْـبي الـرَّجــاءْ

أ – بيّن الموضوع الذي تحدث عنه الشاعر.

ب– مثّل من النص السابق على ما يأتي:

١. التركيز على القيم الإنسانية.

٢. التحرر من القافية الموحدة.

جـ– بيّن رأيك في الصور الشعرية المضمنة في النص.

النشاط

- عد إلى كتاب «اللغة العربية» للصف الحادي عشر، واقرأ قصيدة (وطن النجوم) للشاعر إيليا أبي ماضي، وبين موضوعها، وخصائصها الفنية، واعرضها على زملائك.

ثانيًا: شعر الثورة العربية الكبرى

انطلقت الثورة العربية الكبرى عام (١٩١٦م) بقيادة الشريف الحسين بن علي استجابة طبيعيّة لظاهرة التحدّي التي فرضتها السيطرة العثمانيّة على الوطن العربي، وقد بلغ هذا التّحدي أوجه حين حاول العثمانيون تغريب العرب عن ثقافتهم وحضارتهم وتراثهم وتتريك لغتهم.

واكب الشّعر أحداث الثورة، ومن أبرز الشعراء الذين ظهروا في هذه المرحلة: فؤاد الخطيب، وجميل العظم، وإلياس فرحات، ومحمد العدناني، ومحمد مهدي الجواهري، وغيرهم. ومن موضوعات شعر الثورة العربية الكبرى ما يأتي:

١- الاعتزاز بالقوميّة العربيّة

فالشعوب العربية تجمعها عوامل مشتركة من لغة وثقافة وتاريخ، وقد دعا الشعراء إلى الاعتزاز بهذه القومية العربية، وفي ذلك يقول الشاعر جميل العظم:

لَقَدْ دالَتِ الأَيّام وَانْقَلَبَ الـدَّهْرُ ... فَقُلْ لِبَني جَنْكيزَ قَدْ قُضِيَ الأَمْـــرُ (١)

وَقَدْ عادَ أَمْرُ المُسْلِمينَ لِأَهْلِهِ ... وَهَلْ أَهْـلُهُ إلاّ كِنانَـةُ وَالـنَّضْـــرُ

أولئِـكَ قَوْمي بارَكَ اللهُ فيهِـــمُ ... أُباهي الوَرى فَخْرًا بِهِمْ وَلِيَ الفَخْرُ

٢- الاستياء من سياسة العثمانيين، ووصْفُ ظلمهم

تناول الشعر مظاهر الظلم وأشكاله الذي تعرّض له العرب من العثمانيين، يقول الشاعر الفلسطيني محمد العدناني:

ظَنَّ العِدى أَنَّنا نَعْنو لِظُلْمِهِمُ ... وَلا نُحِسُّ بِما لِلنِّيـــرِ مِنْ أَلَـمِ (٢)

وَأَنَّ بَسْمَتَنا فيهـا رِضًى بِهِـمُ ... وَما تَحَلَّوا بِهِ مِنْ رائِعِ الشِّيَـــمِ

وَما دَرَوا أَنَّ بَرْقَ المُزْنِ يَتْبَعُهُ ... بَعْدَ ابْتِسامَتِهِ، قَصْفٌ مِنَ الرُّجُمِ(٣)

ويصف جميل الزهاوي إعدام جمال باشا السفاح أحرارَ العرب، فيقول:

---

(١) جنكيز خان مؤسس الدولة المغولية وإمبراطورها ، كان قائدًا عسكريًّا شديد البأس سفّاكًا للدماء، سيطر على قبائل المغول والترك والسلاجقة وغيرهم، (ت ٦٢٤ هـ).

(٢) نعنو: نخضع. النِّيرُ: الخشبةُ المعترضةُ فوق عنقي الثورين المقرونين لجر المحراث أو غيره، والمقصود هنا الاحتلال.

(٣) الرّجم: الشهب، وهي ما يظهر في السماء كأنها نجوم تتساقط.

عَلى كُلِّ عودٍ صاحِبٌ وَخَليلُ وَفي كُلِّ بَيْتٍ رَنَّةٌ وَعَويلُ
كَأَنَّ وُجوهَ القَوْمِ فَوْقَ جُذوعِهِمْ نُجومُ سَماءٍ في الصَّباحِ أُفولُ

٣- مدح الشريف الحسين بن علي وأبنائه، وتأكيد أحقيتهم في الملك

صدح العديد من الشعراء وهتفوا مهللين للثورة وقائدها بقصائد من عيون الشّعر القوميّ، وكان من أبرزهم الشيخ فؤاد الخطيب الذي ألقى قصيدته المشهورة (تحيّة النهضة) بين يديّ الشريف الحسين بعد إعلان الثورة مباشرةً، فكانت سببًا في منحه لقب شاعر الثورة العربيّة الكبرى، وشاعر النهضة العربيّة، ومنها:

حَيِّ الشَّريفَ، وَحَيِّ البَيْتَ وَالحَرَما وَانْهَضْ فَمِثْلُكَ يَرْعى العَهْدَ وَالذِّمَما
يا صاحِبَ الهِمَّةِ الشَّمّاءِ أَنْت لَها إِنْ كانَ غَيْرُكَ يَرْضى الأَيْنَ وَالسَّأَما(١)
إِيهٍ بَني العَرَبِ الأَحْرار إِنَّ لَكُمْ فَجْرًا أَطَلَّ عَلى الأَكْوانِ مُبْتَسِما
يا بْنَ النَّبِيِّ وَأَنْتَ اليَوْمَ وارِثُهُمْ قَدْ عادَ مُتَّصِلًا ما كانَ مُنْفَصِلا

ويمجّدُ الشاعر الجزائريّ عبد الله بافقيه الأمير عبد الله الأوّل بن الحسين، فيقول:

أَيا مَنْ لِلعَلاءِ سَعى وَجَدّا وَمَنْ سادَ الأَنامَ أَبًا وَجَدّا
فَدَيْتُكَ فارِسَ الهَيْجا بِروحي وَمِثْلُكَ في البَرِيَّةِ مَنْ يُفَدّا
إِلى عَلْياكَ (عَبْدَ اللهِ) إِنّي نَظَمْتُ مِنَ المَدائِحِ فيكَ عِقْدا
شَرُفْتُ بِمَدْحِكَ السّامي لِأَنّي رَقِيتُ عُلًا وَنِلْتُ بِذاكَ مَجْدا

وفي مبايعة الشريف الحسين بن علي وتأكيد أحقيته في الملك يقول الشاعر اللبناني مصطفى الغلاييني:

يا أَيُّها المَلِكُ المَيْمونُ طالِعُهُ أَنْتَ الإِمامُ بِحَقِّ الشَّرْعِ لا الغَلَبِ
لَكَ الخِلافَةُ، ما في أَمْرِها رَيْبٌ رَغْمَ العَدُوِّ وَرَغْمَ الأَحْمَقِ الشَّغِبِ (٢)
أَبا المُلوكِ إِلَيْكَ العُرْبُ ناظِرَةٌ بِطَرْفِ وَلْهانَ صَبِّ القَلْبِ مُلْتَهِبِ
فَامْدُدْ نُبايِعْكَ يا بْنَ الأَكْرَمينَ يَدًا تَفيضُ خَيْرًا عَلى الإِسْلامِ وَالعَرَبِ

---

(١) الأين: التعب. السأم: الملل والضجر.

(٢) الشغِب: الكثير الشغَب، يعني من يحاول تهييج الشر وإثارة الفتن والاضطراب.

٤- وصف تجاوب الأمّة العربية مع الثّورة

تجاوبت الأمة العربية مع الثورة من شتى الأقطار لما أمّلوه في الوحدة والتحرر، وهي ليست مقصورة على قطر دون آخر، فشارك فيها من كل حدب وصوب الكبير والصغير بعزيمة وبسالة كبيرتين في سبيل التحرر والقضاء على الطغيان، يقول الشّاعر فؤاد الخطيب واصفًا تحرك الجيوش العربية:

لِمَنِ المَضارِبُ في ظِلالِ الوادي ... رَيّا الرِّحابِ تَغَصُّ بِالوُرّادِ؟
اللهُ أَكْبَرُ تِلْكَ أُمَّةُ يَعْرُبٍ ... نَفَرَتْ مِنَ الأَغْوارِ وَالأَنْجادِ
طَوَتِ المَراحِلَ وَالأَسِنَّةُ شُرَّعٌ ... وَالبِيضُ مُتْلَعَةٌ مِنَ الأَغْمادِ(١)
وَمَشَتْ تَدُكُّ البَغْيَ، مِشْيَةَ واثِقٍ ... بِاللهِ، وَالتّاريخِ، وَالأَجْدادِ
عَرَبٌ تَطَوَّعَ كَهْلُهُمْ وَغُلامُهُمْ ... لِلمَوْتِ غَيْرَ مُسَخَّرٍ بِقِيادِ
وَثَبَتْ بِهِمْ في نَقْعِ كُلِّ كَرِيهَةٍ ... هِمَمُ الغُزاةِ وَعِفَّةُ الزُّهّادِ (٢)

٥- رثاء الشريف الحسين بن علي

كان لوفاة الشريف الحسين بن علي صدًى كبيرٌ في وجدان الشعراء في شتى بقاع العالم العربي لما له من مكانة دينية وقومية. يقول أحمد شوقي:

لَكَ في الأَرْضِ وَالسَّماءِ مَآتِمْ ... قامَ فيها أَبو المَلائِكِ هاشِمْ
يا أَبا العِلْيَةِ البَهاليلِ سَلْ ... آباءَكَ الزُّهْرَ هَلْ مِنَ المَوْتِ عاصِمْ؟
تِلْكَ بَغْدادُ في الدُّموعِ وَعَمّا ... نُ وَراءَ السَّوادِ وَالشّامُ واجِمْ
وَاشْتَرَكْنا فَمِصْرُ عَبْرى وَلُبْنا ... نُ سَكوبُ العُيونِ باكي الحَمائِمْ

٦- التغنّي بذكرى الثورة العربيّة الكبرى

تحتفل المملكة الأردنيّة الهاشمية سنويًّا بذكرى الثورة العربيّة الكبرى، وقد كان للعام (٢٠١٦م) سمة تميزه عن الأعوام الأخرى؛ إذ احتفلت المملكة بمرور مئة عام على انطلاقة

---

(١) الأسنة: الرماح. البيض متلعة: السيوف مخرجة من أغمادها.

(٢) نقع الكريهة: الغبار الذي يتصاعد حين اشتداد الحرب.

الثورة العربيّة الكبرى، وفي هذه المناسبة نظم الشاعر حيدر محمود قصيدة بعنوان (سيّد الشهداء)، ومنها:

وَالشَّريفُ الحُسَيْنُ يُشْرِقُ شَمْسًا في عُيونِ الأَبْناءِ وَالأَحْفادِ
هِيَ أُمُّ الرّاياتِ، أَعْطَتْ، وَتُعطي كُلَّ حُرٍّ شَهادَةَ الميلادِ
وَعَلى خَفْقِها اسْتَفاقَتْ شُعوبٌ مِنْ ظَلامِ القُيودِ، وَالأَصْفادِ
جَمْرُها وَحْدَهُ الَّذي يوقِدُ الجَمْـ ـرَ وَكُلُّ النّيرانِ مَحْضُ رَمادِ

الخصائص الفنيّة لشعر الثورة العربيّة الكبرى

ثمّة خصائص عامّة اتسم بها شعر الثورة العربيّة الكبرى، منها أنه:

١- يستخدم النبرة الخطابيّة والتعبير المباشر عن المعاني، مثل قول فؤاد الخطيب:

يا بْنَ النَّبِيِّ وَأَنْتَ اليَوْمَ وارِثُهُمْ قَدْ عادَ مُتَّصِلًا ما كانَ مُنْفَصِلا

وقول الشاعر اللبناني مصطفى الغلاييني:

يا أَيُّها المَلِكُ المَيْمونُ طالِعُهُ أَنْتَ الإِمامُ بِحَقِّ الشَّرْعِ لا الغَلَبِ

٢- يتصف بسموّ العاطفة وحرارتها من خلال الاعتزاز بالقومية العربية ووصف الظلم الذي وقع على الشعوب العربية والتطلع إلى التحرر.

٣- يلتزم عمود الشّعر العربيّ.

الأسئلة

١– من خلال دراستك النماذج الشعريّة لشعر الثورة العربيّة الكبرى:

أ – ما الذي يُدلّلُ على أنّها ثورةُ كلّ العربِ؟

ب– استنتج المبادئ التي نادت بها الثورة العربية الكبرى.

٢– علل: لُقّب فؤاد الخطيب شاعر الثورة العربية الكبرى.

٣– في رأيك، ما سبب الحديث عن البعد الديني في شخصية الشريف الحسين بن علي.

٤– اقرأ النّصين الآتيين ثمّ أجب عمّا يليهما:

يقول الشاعر فؤاد الخطيب في قصيدته (إلى جزيرة العرب):

المُلْـكُ فيكَ وَفـي بَنيكَ وَإِنَّهُ حَـقٌّ مِـنَ الآبـاءِ لِلأَحْفـادِ

وَأَمانَـةُ التّاريـخِ فـي أَعْناقِهِـمْ مِنْ عَهْدِ "بابِلَ" يَوْمَ نَهْضَةِ "عادِ"

وَمِنَ الأَشاوِسِ مِنْ بَني قَحْطانَ أَوْ عَدْنـانَ مِـنْ مُتَحَضِّرٍ أَوْ بـادِ

فَإِذا انْبَـرَوا لِلمَجْدِ فَهْـوَ سَبيلُهُمْ يَمْشونَ فيهِ عَلى هُدًى وَسَدادِ

ويقول الشاعر إلياس فرحات في قصيدته (تحرسك عين عناية الرّحمن):

العَرْشُ عَرْشُكَ يا فَتـى عَدْنانِ أَبْطَأْتَ أَمْ أَسْرَعْتَ في الإِعْـلانِ

تُهْـدي الشَّـآمُ إِلى عُلاكَ أَريكَةً مَيْمونَـةً مَحْروسَـةَ الأَرْكانِ

فَرَشوا النَّفائِسَ في طَريقِكَ عِنْدَما عَلِموا بِيَوْمِ قُدومِـكَ المِحْسانِ

وَلَو انَّهُمْ فَرَشوا القُلوبَ لَما وَفَوْا دَيْنًـا تَسَـجَّلَ بِالنَّقيـعِ القـاني[1]

أ – ما الموضوع الذي يمثله كل من النصين السابقين؟

ب– استخرج البيت الذي يحمل كل فكرة في ما يأتي:

١. الاعتراف بفضل الحسين بن علي وأنجاله على العرب.

٢. التذكير بالماضي المجيد.

جـ– استنتج ثلاثًا من الخصائص الفنية المشتركة بين النصين السابقين.

---

(١) سهلت همزة (أنهم) للضرورة الشعرية. المقصود بالنقيع القاني الدماء.

٥– يُعدّ شعر الثورة العربية الكبرى سجلًّا تاريخيًّا للأحداث السياسية، وضّح ذلك من خلال ما درست.

٦– لِمَ يتميز شعر الثورة العربية الكبرى بالنبرة الخطابية؟

٧– استنتج الموضوع الذي يمثله كلّ بيت في ما يأتي:

أ – قال الشاعر الفلسطيني سعيد الكرمي:

وَعادَتْ قُرَيْشٌ في منَصَّةِ عِزِّها تُقيمُ لِواءَ المَجْدِ فَلْيَفْرَحِ النَّصْرُ

ب– قال الشّاعر العراقي محمد الهاشمي:

بَنـــي جَنْكيـــزَ إنَّ الظُّلْمَ عارٌ وَأَمْـــرٌ لا يُـقِـــرُّ بِـــهِ قَـــرارُ

جـ– قال الشاعر فؤاد الخطيب:

سَلامٌ عَلى شَيْخِ الجَزيرَةِ كُلِّها سَـــلامٌ عَلى تاريخِهِ المُتَأَلِّقِ

النشاط

- عد إلى كتاب تاريخ الأردنّ للصف الحادي عشر، الفصل الخامس، واكتب تقريرًا عن الثورة العربية الكبرى، واعرضه على زملائك.

ثالثًا: شعر التفعيلة (١)

يعدّ شعر التفعيلة ثورة حقيقية في عالم الشعر العربي وأهم حلقة في تطوره، فهو شعر موزون تحرر من وحدة القافية والبحر العروضي، والتزم نظام التفعيلة، إذ تتكرر التفعيلة الواحدة في القصيدة كلّها، ولا يتقيد بعدد معين من التفعيلات في كل سطر.

ويمكن القول إن البداية الحقيقية لشعر التفعيلة كانت عام (١٩٤٧م) حين نشرت نازك الملائكة قصيدة في شعر التفعيلة بعنوان (الكوليرا)، وفي العام نفسه نشر بدر شاكر السيّاب ديوانه «أزهار ذابلة» وفيه قصيدة من شعر التفعيلة بعنوان (هل كان حبًّا).

ومن أعلام شعر التفعيلة كذلك: عبد الوهاب البيّاتي، صلاح عبد الصبور، وفدوى طوقان، ومحمود درويش، وأدونيس، ونزار قبّاني، . ومن رواده في الأردنّ: حيدر محمود، وعبدالله رضوان، وحبيب الزيودي.

ومن أبرز قضايا شعر التفعيلة وموضوعاته ما يأتي:

١- الإيقاع الموسيقي

عرفت أن شعر التفعيلة يتحرر من نظام البحر العروضي والقافية الموحدة، ويلتزم نظام التفعيلة التي تتكرر في السطر الشعري حسب التدفق الشعوري للشاعر التي تتطلب الإطالة تارة، والقصر تارة أخرى. ومن أدوات الشاعر لتحقيق الإيقاع الموسيقي التكرار بأنواعه، مثل تكرار الأحرف أو الكلمات أو العبارات أو الأسطر، واختيار الألفاظ الرشيقة المتناغمة. ففي المقطع الآتي من قصيدة (أغنية للأرض) للشاعر حيدر محمود نجد أن تكرار الأحرف والكلمات قد أضفى على القصيدة إيقاعًا موسيقيًّا غنائيًّا، يقول:

يا بِلادي
مِثْلَما يَكْبُرُ فيكِ الشَّجَرُ الطَّيِّبُ
نَكْبُرْ
فَازْرَعينا فَوْقَ أَهْدابِكِ
زَيْتونًا وَزَعْتَرْ

---

(١) ويسمى أيضًا الشعر الحر، والشعر الجديد، وشعر الحداثة، والشعر المعاصر.

وَاحْمِلينا أَمَلًا، مِثْلَ صَباحِ العيدِ، أَخْضَرْ
وَاكْتُبي أَسْماءَنا
في دَفْتَرِ الحُبِّ: نَشامى
يَعْشَقونَ " الوَرْدَ "، لكِنْ
يَعْشَقونَ "الأَرْضَ" أَكْثَرْ
قَدْ رَسَمْناكِ عَلى الدُّفْلى
وَقاماتِ السَّنابِلْ
غابَةً لِلأَعْيُنِ السّودِ
وَحَقْلًا مِنْ جَدائِلْ

٢- الصورة الشعرية

ترتبط الصّورة الشعرية ارتباطًا وثيقًا بالتّجربة الشّعرية، وهي طريقة للتّعبير عن قضايا الشاعر في صورة فنّية تتوافق وحالاته النّفسية، فقد تخلص الشاعر في شعر التفعيلة من القافية الموحَّدة الّتي تقيّد أحيانًا صُوَره ومشاعره، وأطلق العنان للصّورة الشّعرية، فجاءت عميقة مكثفة، وخرجت من مجرد العلاقة بين المشبّه والمشبّه به إلى نوع من المَشاهد أو اللّقطات الموحية المتتالية تنقل لنا صورًا متلاحقة مرئية ومسموعة، تقول نازك الملائكة في قصيدة (النهر العاشق):

أَيْنَ نَمْضي؟ إِنَّهُ يَعْدو إِلَيْنا
راكِضًا عَبْرَ حُقولِ القَمْحِ لا يَلْوي خُطاهُ
باسِطًا، في لَمْعَةِ الفَجْرِ، ذِراعَيْهِ إِلَيْنا
طافِرًا، كَالرّيحِ، نَشْوانَ يداهُ(١)
سَوْفَ تَلْقانا وَتَطْوي رُعْبَنا أَنّى مَشَيْنا

(١) طافرًا: واثبًا.

٣- الرمز والأسطورة

يلحظ أن شعر التفعيلة كثيرًا ما يوظف الرمز للتلميح بالمحتوى عوضًا عن التصريح، فالمطر رمز الخير، والفجر رمز الحرية، ومن الطبيعي أن تظل هذه الرموز مفتوحة على آفاق واسعة قادرة على توليد المعاني والإيحاءات المتجددة، كما يوظف الأسطورة وهذا يزيد المعنى عمقًا، ويرتقي بالمستوى الفني للقصيدة.

يوظف الشاعر العراقي يحيى السماوي (النخل) رمزًا للشموخ والقوة والثبات حين عبّر عن رفض العراقي الاحتلال وتنكيله بالناس، يقول:

هُمْ يَقْتُلونَ النَّخْلَ
إِنَّ النَّخْلَ مُتَّهَمٌ بِرَفْضِ الانْحِناءِ
وَبِالتَّشَبُّثِ بِالجُذورِ
وَبِاخْضِرارِ السَّعْفِ

ويوظف الشاعر وليد سيف أسطورة (الغولة) في قصيدة له مشيرًا إلى ما تعوّده بعضهم من تخويف الأطفال بالغولة، ولكن النتيجة جميلة إذ يسبل الطفل عيونه في حضن الأم ويغفو، يريد بذلك ما يتعرض له الشعب الفلسطيني من مظاهر التخويف والتهديد، ومع ذلك يبقى هذا الشعب متسلّحًا بالأمل والنصر على العدو الصهيوني، يقول:

وَيَرْقُدُ الصَّغيرُ فَوْقَ حِجْرِها
"ويَا حَبيبُ نَمْ"
تُخيفُهُ بِغولَةٍ مَسْلوخَةِ القَدَمْ
وَرُبَّما تُغَرْغِرُ اللَّهاةُ في نَغَمْ
أُرجوحَةً دَفِيَّةً حَنونْ
فيُسْبِلُ العُيونْ

٤ – الانزياح الدلالي

وهو العدول باللغة عن المعنى المعهود، والخروج عن المعنى المألوف، وتوظيف الألفاظ في غير ما وضعت له، وهذا يميز لغة الشعر، ويعطي اللفظ دلالة مجازية، ويزيد شعر التفعيلة

غموضًا، ويجد القارئ صعوبة في فهم مراد الشاعر، يقول بدر شاكر السياب في قصيدة (أنشودة المطر) عند الحديث عن الحاجة إلى المطر، فيغدو بمثابة الواهب والدافع للعمل:

أكادُ أَسْمَعُ النَّخيلَ يَشْرَبُ المَطَرْ
وَأَسْمَعُ القُرى تَئِنُّ ، وَالمُهاجِرين
يُصارِعونَ بِالمَجاذيفِ وَبِالقُلوع،
عَواصِفَ الخَليجِ، وَالرُّعودَ، مُنْشِدين:
مَطَرْ...
مَطَرْ...
مَطَرْ...

٥ – التناصّ(١)

يكثر في شعر التفعيلة التناصّ، فالشاعر يوظف ألفاظًا تحيل القارئ إلى القصص القرآني والحكايات التراثية، ويلجأ إلى التناص لتقديم معانٍ يريدها، وتأكيد مواقف مشابهة، وقد يأتي التناص في عنوان القصيدة، ومثال ذلك قصيدة حبيب الزيودي (على ماء مدين):

عَلى ماءِ مَدْيَنَ يَرْتَفِعُ الحُبُّ صَرْحًا
وَيَدْمُلُ كُلَّ الجِراحْ
وَيَأْتي الرُّعاة...
وَتَسْقي لَنا أَيُّهذا القَوِيُّ الأَمين
عَلى ماءِ مَدْيَنَ يَمْتَدُّ عُمْرُ الصَّباح
وَفي كُلِّ يَوْم...
سَنَزْرَعُ عِشْقًا وَليدًا
وَنَرْفَعُ صَرْحًا جَديدًا
فَإِنْ هَزَّتِ العاتِياتُ بَراعِمَنا

(١) التناص: مصطلح نقدي يقصد به وجود تداخل بين نص وآخر، مما يجعل النص في علاقة ظاهرة أو خفية مع نصوص أخرى.

سَنُغَنّي:

عَلى ماءِ مَدْيَنَ لا عِشْق دونَ رِياح

٦ – المرأة

لا يكاد يخلو ديوان شاعر من ذكر المرأة، أو تصوير مشاعره نحوها، وربما اتخذها الشاعر رمزًا لكثير من معانيه. يقول عبد الوهاب البياتي متحدثًا عن محبوبته:

أُحِبُّ وَجْهَها الصَّغيرَ كُلَّما اسْتَدار

أُحِبُّ صَوْتَها الحَزينَ الدّافِئَ المُنْهار

يَفْتَحُ في الظُّلْمَةِ شُبّاكًا

وَيَهْمي في الضُّحى أَمْطارا

الخصائص الفنية لشعر التفعيلة

من النماذج السابقة نستخلص أن شعر التفعيلة:

١– يهتمّ بالوزن الشعري الذي يقوم على وحدة التفعيلة في القصيدة، ويتحرر من القافية الموحّدة.

٢– يعتمد التكوين الموسيقي للقصيدة على التفعيلة تبعًا للدفقات الشعرية للشاعر فلا يتقيد بعدد التفعيلات في كل سطر.

٣– يعنى بعمق الصورة الشعرية ويكثر منها ويجدد فيها، كما في قصيدة (النهر العاشق) لنازك الملائكة مثلًا.

٤– يكثر من توظيف الرموز والأساطير للتعبير عن المعاني.

الأسئلة

١– وضح سبب تسمية شعر التفعيلة بهذا الاسم.

٢– متى كانت البداية الحقيقية لشعر التفعيلة؟ ومن أشهر رواده؟

٣– انسب القصائد الآتية إلى قائليها:

النهر العاشق، أنشودة المطر، على ماء مدين.

٤– وضح المقصود بكل مما يأتي:

التناص، الانزياح الدلالي.

٥ – علل ما يأتي:

أ – يكثر في شعر التفعيلة استخدام الرمز والأسطورة.

ب– يميل شعر التفعيلة إلى الغموض أحيانًا.

٦– اقرأ النص الآتي من قصيدة (الكوكب الأرضي) للشاعرة فدوى طوقان، ثم أجب عن الأسئلة التي تليه:

لَوْ بِيَدي أَنْ أَحْمِيَ هذا الكَوْكَبْ
مِنْ شَرِّ خِيارٍ صَعْب
لَوْ أَنّي أَمْلِكُ لَوْ بِيَدي
أَنْ أَرْفَعَ عَنْ هذا الكَوْكَبْ
كابوسَ الحَرْب
أَنْ أُفْرِغَهُ مِنْ كُلِّ شُرورِ الأَرْض
أَنْ أَقْتَلِعَ جُذورَ البُغْض
أُقْصيهِ إِلى أَبْعَدِ كَوْكَبْ
أَنْ أَغْسِلَ بِالماءِ الصّافي
إِخْوَةَ يوسُفْ
وَأُطَهِّرَ أَعْماقَ الإِخْوَة
مِنْ دَنَسِ الشَّر

لَوْ بِيَدي
أَنْ أَجْتَثَّ شُروشَ الظُّلْم
وَأُجَفِّفَ في هذا الكَوْكَبْ
أَنْهارَ الدَّم

أ – ما الموضوع الذي تمثله القصيدة؟

ب– أين تجد التناصّ في القصيدة؟

جـ– عبّر بلغتك الخاصة عن النزعة الإنسانية التي تمثلها القصيدة.

د – مثل من القصيدة السابقة على ما يأتي:

١. توظيف الرمز للتعبير عن المعاني.

٢. الاهتمام بالوزن الشعري الذي يقوم على وحدة التفعيلة في القصيدة، ويتحرر من القافية الموحّدة.

رابعًا: شعر المقاومة

عاش العالم العربي منذ أواخر القرن التاسع عشر أحداثًا وصراعات جسامًا اتّسعت في القرن العشرين جرّاء سيطرة الاستعمار الأجنبيّ: البريطاني، والفرنسي، والإيطالي على الوطن العربي ومقدّراته وما أفرزته الحركة الصهيونية من احتلال فلسطين؛ فظهر على إثر ذلك فريقٌ من الشّعراء قاوم الاستعمار، وعكس الواقع بكلّ تفاصيله؛ ولهذا السبب برزت في كل مرحلة أصوات شعرية شكلت رموزًا لحالات إبداعية يُلمَس فيها جمال التّصوير والخيال المبدع والصور الفنيّة واللغة الصافية الصادقة والنبرة المؤثرة.

وفي ما يأتي نعرض شعر المقاومة في الأقطار العربيّة بشكل عام، في حين نفرد جزءًا من هذا الموضوع للحديث عن شعر المقاومة الفلسطينية بوصف فلسطين هي الجرح النازف إلى يومنا هذا.

١ – شعر المقاومة في الأقطار العربيّة

تناول شعر المقاومة عددًا من المضامين، منها:

أ – استنهاض الهمم وإثارتها لمقاومة المستعمر

حمل الشعراء في الأقطار العربية كافة مهمة استنهاض همم الشعوب من أجل الوقوف في وجه المستعمرين والخلاص من طغيانهم واستبدادهم، وأنّ الأمة ستبعث من جديد.

وتعبّر عن هذا المعنى أبيات الشاعر التونسي أبي القاسم الشابّي، إذ يقول:

إذا الشَّعْبُ يَوْمًا أَرادَ الحَياةَ فَلا بُدَّ أَنْ يَسْتَجيبَ القَدَرْ(١)
وَلا بُـــدَّ لِلَّيْلِ أَنْ يَنْجَلـــي وَلا بُـدَّ لِلقَيْـدِ أَنْ يَنْكَسِـرْ
كَذلِكَ قالَتْ لِـيَ الكائِناتُ وَحَدَّثَني روحُها المُسْتَتِرْ

ويقول سليمان العيسى في ثورة الجزائر:

الرَّبيعُ البِكْرُ أَنْ يَنْهارَ لَيْلٌ
أَنْ يَدوسَ القَيْدَ ثائِرْ
الرَّبيعُ البِكْرُ

(١) المقصود أنّ الله ـ تعالى ـ يستجيب لمن يسعى إلى طلب الحريّة بجدٍّ وهو مؤمن بقضيته وبحقّه.

أَنْ يُسْحَقَ جَلّادٌ

وَأَنْ تَحْيا جَزائِرْ

ب- إبراز أهمية التضحيات التي قدمها شهداء المقاومة

يقاس مدى تمسك الأمم بحريتها وتطلعها إلى الحياة الكريمة بمقدار التضحيات التي تقدمها في سبيل ذلك الهدف، فقد كانت التضحيات حافزًا لاستكمال الطريق الذي يبدأ به أهل السبق في السعي لنيل الحرية للشعوب. يقول أحمد شوقي في رثاء عمر المختار زعيم المقاومة الليبية ضد الاستعمار الإيطالي:

رَكَـزوا رُفاتَكَ فـي الرِّمالِ لِـواءً ... يَسْتَنْهِـضُ الـوادي صَبـاحَ مَساءَ

يـا أَيُّها السَّيْـفُ المُجَـرَّدُ بِالفَلا ... يَكْسو السُّيوفَ عَلى الزَّمانِ مَضاءَ

تِلـكَ الصَّحـاري غِمْـدُ كُلِّ مُهَنَّـدٍ ... أَبْلى فَأَحْسَنَ فـي العَـدُوِّ بَـلاءَ

خُيِّرْتَ فَاخْتَرْتَ المَبيتَ عَلى الطُّوى ... لَـمْ تَبْـنِ جاهًـا أَوْ تَلُـمَّ ثَـراءَ

أَفْريقِيـا مَـهْدُ الأُسـودِ وَلَحْـدُها ... ضَـجَّتْ عَلَيْـكَ أَراجِـلًا وَنِسـاءَ

ويصوّر فوزي عطوي تضحيات الشعب المصري في الخلاص من العدوان الثّلاثي على مصر فيقول:

حَدِّثْ فَتاكَ عَنِ الوُحوشِ الضّـارِيَةْ ... يا شاهِدًا مَأْساةَ مِصْرَ الـدّامِيَةْ

حَدِّثْ عَـنِ الأَطْفـالِ يَوْمَ تَمَرَّدوا ... كَيْـفَ افْتَدَوْها بِالدِّماءِ الفانِيَةْ

وَعَـنِ الأَيـامى وَاليَتامى حينَمـا ... ذَرَفَتْ عُيونُهُمُ الدُّموعَ القانِيَةْ

وَتَسَهَّدَتْ أَجْفانُهُـمْ فَبَـدَتْ لَهُـمْ ... عَيْـنٌ مُـؤَرَّقَةٌ وَعَيْـنٌ باكِيَـةْ

جـ- وصف مشاهد المقاومة

لم تكن النكبات لتوقف حس الاندفاع نحو المقاومة، فكان الشعراء يتبارون في نظم قصائدهم عند النكبات الكبيرة؛ لتكون باعثًا على المقاومة. ونلمس ذلك في قصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي في نكبة دمشق على يد المستعمر الفرنسي، إذ يقول:

بِلَيْـلٍ لِلقَـذائِـفِ وَالمَنايـا ... وَراءَ سَمائِهِ خَطْفٌ وَصَعْقُ

إِذا عَصَفَ الحَديدُ احْمَـرَّ أُفْقٌ ... عَلـى جَنَباتِـهِ وَاسْوَدَّ أُفْـقُ

دَمُ الثُّـــــــوّارِ تَعْــرِفُهُ فَرَنْسـا وَتَعْلَـــمُ أَنَّـهُ نـورٌ وَحَــقُّ
بِــلادٌ مــاتَ فِتْيَتُهـــا لِتَحْيـا وَزالـوا دونَ قَوْمِهِـمُ لِيَبْقـوا
وَلِـلـحُـرِّيَّـــةِ الـحَـمْـراءِ بـابٌ بِكُلِّ يَـدٍ مُضَرَّجَـةٍ يُـدَقُّ

د – تأكيد مفهوم القومية العربية

يشير محمد مهدي الجواهري في قصيدته (ثورة العراق) إلى وحدة صفوف المقاومة في الوطن العربي عامّةً، فيقول:

لَعَلَّ الَّذي وَلّى مِـــنَ الدَّهْرِ راجِعُ فَلا عَيْشَ إِنْ لَـمْ تَبْقَ إِلاّ المَطامِعُ
تُحَدِّثُ أَوْضـــاعُ العِراقِ بِنَهْضَةٍ تُـرَدِّدُهـــا أَسْواقُـــهُ وَالشَّـوارِعُ
وَقَدْ خَبَّروني أَنَّ في الشَّرْقِ وَحْدَةً كَنائِسُـــهُ تَدْعـو فَتَبْكي الجَوامِعُ
وَقَدْ خَبَّروني أَنَّ لِلعُرْبِ نَهْـــضَةً بَشائِرُ قَـــدْ لاحَتْ لَهـا وَطَلائِـعُ
هَبوا أَنَّ هذا الشَّرْقَ كانَ وَديـــعَةً "فَلا بُـدَّ يَوْمًا أَنْ تُـــــرَدَّ الوَدائِعُ" (١)

٢– شعر المقاومة الفلسطينية

تبوأ شعر المقاومة الفلسطينية حيزًا واسعًا في شعر المقاومة العربي لأسباب، أهمها:

– مكانة فلسطين الدينية.

– معاناة فلسطين من الاحتلال الصهيوني حتى يومنا هذا.

استطاع الشعر أن يعبر عن التجربة الفلسطينية بكلّ ما فيها، وبرزت أسماء شعراء أصبحوا رموزًا لشعر المقاومة مثل: إبراهيم طوقان، وأخته فدوى طوقان ، ومحمود درويش، وسميح القاسم، وتوفيق زَيّاد، وعبد الكريم الكرمي. ويمكن أن نميز فيه مرحلتين متداخلتين:

أ – مرحلة البحث عن الذات

عبر الشعر في هذه المرحلة عن شخصية الفلسطيني اللاجئ المنتزع من أرضه بعد أن شرّده المحتل، وأشعرته المأساة بأهمية البحث عن هويته. وتناول موضوعات شتى مثل: الحنين إلى الوطن، ووصف المذابح التي تعرض لها الفلسطينيون، والأمل بالعودة،

(١) اقتبس الشاعر عجز البيت الشعري من قصيدة للشاعر لبيد بن ربيعة العامري.

والدعوة إلى النّضال. وقد اتسم شعر هذه المرحلة بالنبرة الخطابية، وبالحزن ردًّا على الواقع المرّ.

يقول محمود درويش مصورًا عذاب الشعب الفلسطيني بعد النكبة:

ماذا جَنَيْنا نَحْنُ يا أُمّاهُ؟
حَتّى نَموتَ مَرَّتَيْن
فَمَرَّةً نَموتُ في الحَياةْ
وَمَرَّةً نَموتُ عِنْدَ المَوْتْ!
يا غابَةَ الصّفْصافِ هَلْ سَتَذْكُرينْ
أَنَّ الَّذي رَمَوْهُ تَحْتَ ظِلِّكِ الحَزينْ
كَأَيِّ شَيْءٍ مَيِّتٍ إِنْسانْ؟
هَلْ تَذْكُرينَ أَنّني إِنْسانْ
وَتَحْفَظينَ جُثَّتي مِنْ سَطْوَةِ الغِرْبانْ؟
وَأَنْتِ يا أُمّاه
وَوالدي وَإِخْوَتي وَالأَهْلُ وَالرِّفاقْ
لَعَلَّكُمْ أَحْياءْ
لَعَلَّكُمْ أَمْواتْ
لَعَلَّكُمْ مِثْلي بِلا عُنْوانْ
ما قيمَةُ الإِنْسانْ
بِلا وَطَنْ
بِلا عَلَمْ
وَدونَما عُنْوانْ؟
ما قيمَةُ الإِنْسانْ؟

ب- مرحلة اكتشاف الذات وتأكيد الهوية

وذلك منذ انطلاقة الثورة الفلسطينية، فقد أدت التجربة المُرّة إلى نضج الوعي ووضوح الرؤية، واليقين بضرورة تجاوز الواقع لصنع المستقبل وتحرير الأرض والإنسان. يقول الشاعر عبد الرحيم محمود:

سَأَحْمِـــلُ روحـي عَلـى راحَتي ... وَأُلْقي بِها فـــي مَهاوي الـرَّدى
فَإِمّـــا حَيـــاةٌ تَسُـــرُّ الصَّديـقَ ... وَإِمّـــا مَمـاتٌ يَغيـــظُ العِدى
وَنَفْـــسُ الشَّريـــفِ لَهـا غايَتـانِ ... وُرودُ المَنايـــا وَنَيْـــلُ المُنـى
وَما العَيْشُ؟ لا عِشْـــتُ إِنْ لَمْ أَكُنْ ... مَخوفَ الجَنـابِ حَرامَ الحِمى

ولم يكن شعر المقاومة الفلسطينية حكرًا على شعراء فلسطين أنفسهم، فقد هبّ شعراء العرب يدافعون في قصائدهم عن فلسطين وشعبها، ويحيون الأمّة العربية التي هبت للدفاع عن فلسطين، ومن ذلك ما قاله الشاعر اللبناني بشارة الخوري (الأخطل الصغير):

يا جِهادًا صَفَّقَ المَجْـــدُ لَـــهُ ... لَبِسَ الغارُ عَلَيْهِ الأُرْجُوانـــا
شَرَفٌ باهَـــتْ فِلَسْطينُ بِـــهِ ... وَبِنـــاءٌ لِلمَعالـي لا يُدانـى
إِنَّ جُرْحًا سالَ مِنْ جَبْهَتِهـــا ... لَثَمَتْـــهُ بِخُشـوعٍ شَفَتانـــا
وَأَنينًا باحَـــتِ النَّجْـــوى بِهِ ... عَرَبِيًّـــا رَشَفَتْـــهُ مُقْلَتانـــا

الخصائص الفنية لشعر المقاومة

يتصف شعر المقاومة في الشعر العربي الحديث بأنه:

١- تتجلى فيه النبرة الخطابية، ولا سيّما عند الحديث عن استنهاض الهمم وإبراز التضحيات والحث على المقاومة.

٢- يتصف بالوضوح في المعاني والأفكار، مثل الحديث عن تأكيد الشعراء القوميةَ العربية ووصف مشاهد المقاومة.

٣- يتسم بحرارة العاطفة الوطنية والقوميّة وقوّتها. يظهر ذلك في قصيدة محمود درويش التي يتحدث فيها عن معاناة الشعب الفلسطيني من تشرد وقتل وعذاب وتطلع إلى الحرية.

الأسئلة

١- وازن بين سمات شعر المقاومة الفلسطينية في مرحلتيه: البحث عن الذات، واكتشاف الذات وتأكيد الهوية، من حيث الموضوعات، والعاطفة.

٢- اقرأ النّص الآتي من قصيدة (سجّل أنا عربي) للشاعر محمود درويش، ومثّل على الخصائص الفنية المتضمّنة فيه:

سَجِّلْ
أَنا عَرَبي
سَلَبْتَ كُرومَ أَجْدادي
وَأَرْضًا كُنْتُ أَفْلَحُها
أَنا وَجَميعُ أَوْلادي
وَلَمْ تَتْرُكْ لَنا... وَلِكُلِّ أَحْفادي
سِوى هذي الصُّخورِ
فَهَلْ سَتَأْخُذُها
حُكومَتُكُمْ كَما قيل؟
إِذَنْ
سَجِّلْ بِرَأْسِ الصَّفْحَةِ الأولى
أَنا لا أَكْرَهُ النّاسَ
وَلا أَسْطو عَلى أَحَدٍ
وَلكِنّي إِذا ما جُعْتُ
آكُلُ لَحْمَ مُغْتَصِبي
حَذارِ.. حَذارِ.. مِنْ جوعي
وَمِنْ غَضَبي

٣- ناقش العبارة الآتية: " الشّعر مرآة الواقع"، مطبّقًا إياها على شعر المقاومة.

٤- لم يكن شعر المقاومة الفلسطينية حكرًا على شعراء فلسطين، فسّر هذه العبارة.

٥– اقرأ النصين الآتيين، ثم أجب عما يليهما:

يقول أبو القاسم الشابي:

لَكَ الوَيْلُ يا صَرْحَ المَظالِمِ مِنْ غَدٍ إذا نَهَضَ المُسْتَضْعَفونَ، وَصَمَّموا
إذا حَطَّمَ المُسْتَعْبَدونَ قُيودَهُمْ وَصَبّوا حَميمَ السُّخْطِ أَيّانَ تَعْلَمُ
هُوَ الحَقُّ يُغْفي ثُمَّ يَنْهَضُ ساخِطًا فَيَهْدِمُ ما شادَ الظَّلامُ وَيَحْطِمُ

و يقول البيّاتي:

لَنْ يَموتَ الشُّهَداء
فَهُمُ البِذْرَةُ وَالزَّهْرَةُ في أَرْضِ الفِداء
وَهُمُ السّاحِلُ وَالبَحْرُ وَشِعْرُ الشُّعَراء

أ – ما المضمون الذي يمثله كل نص من النصين السابقين؟

ب– استخلص خصيصتين من خصائص شعر المقاومة في كلا النصين.

٦– دلّل من الشواهد الشعرية التي درستها في ما سبق على حرارة العاطفة الوطنية وقوتها في شعر المقاومة.

٧– وازن بين شعر الثورة العربية الكبرى وشعر المقاومة ذاكرًا أوجه الشبه والاختلاف.

النشاط

- عد إلى ديوان محمود درويش « عاشق من فلسطين» واستخرج قصيدة (عاشق من فلسطين)، ثم ناقش زملاءك ومعلمك كيف جمع الشّاعر بين لغة الحبّ والمقاومة عند توظيفه الرّمزَ في قصيدته.

الوحدة الرابعة

٤ قضايا من النثر في العصر الحديث

النتاجات الخاصة بالوحدة

يتوقع من الطالب بعد دراسة الوحدة أن:

- يتعرف فنون النثر الحديث: المقالة، والخاطرة، والقصة القصيرة، والسيرة، والرواية، والمسرحيّة.
- يقرأ نماذج من فنون النثر الحديث، ويبين عناصرها ومكوناتها، ويسمي عددًا من الأعلام الذين كتبوا في هذه الفنون.
- يذكر الخصائص الفنية لفنون المقالة والخاطرة والسيرة.
- يتتبع تطور القصة القصيرة في الأردن، ويسمي أشهر أعلامها وبعضًا من أعمالهم.
- يميّز السّيرة الذاتيّة من السّيرة الغيريّة.
- يبين شروط كتابة السيرة وشروط كاتبها.
- يتتبع تطوّر الرّواية الأردنيّة، ويسمّي أشهر أعلامها، وبعضًا من أعمالهم.
- يتعرف مفهوم المسرحيّة، ونشأتها، وعناصرها.
- يتتبع تطور المسرحية الأردنية، ويسمي أشهر أعلامها، وبعضًا من أعمالهم.

مقدمة

نقف في هذا السياق على أبرز قضايا النثر في العصر الحديث التي كان للأحداث السياسية والاجتماعية والثقافية أبرز الأثر في نشأتها وتطورها شكلًا ومضمونًا، وأسهمت في تعرف الأدباء العرب كثيرًا من أساليب التعبير في الفنون النثرية، وهي: المقالة، والخاطرة، والقصة القصيرة، والسيرة، والرواية، والمسرحية.

أولًا: المقالة

فن أدبي نثري، يتناول موضوعًا معينًا بهدف إقناع قارئه بتقبل فكرة ما أو إثارة عاطفته تجاهها، وقد تظهر فيه شخصية الكاتب.

ظهرت ملامح المقالة في أدبنا العربي منذ القرن الثاني للهجرة، وتمثلت في أحسن صورها في رسائل الجاحظ، التي أشبهت من بعض الوجوه المقالة العربية الحديثة.

ثم اتخذ شكل المقالة حديثًا منحًى آخر من حيث موضوعها وأسلوبها، فأصبحت تُعنى بتحليل مظاهر الحياة المعاصرة وتتناولها بالنقد والتحليل، حتى نستطيع القول: إنها عُدّت فنًّا أدبيًّا جديدًا، فقد كان لظهور بعض الصحف كصحيفة «الوقائع المصرية»، والمجلات كمجلة «المشرق» سنة (١٨٩٨م)، أثرٌ كبيرٌ في انتشار المقالة في الأدب العربي الحديث وظهورها بقالبها الجديد. ويعدّ كل من: إبراهيم المازني وأحمد حسن الزيات وعباس محمود العقاد من أشهر كتّاب المقالة في الصحافة العربية المبكرة.

١ – الخصائص والعناصر

اتسمت المقالة الحديثة بقربها من الناس ومعالجة مشكلاتهم العامة والخاصة، والميل إلى بث الثقافة العامة لتربية أذواق الناس وعقولهم، واتصفت بالوضوح في التعبير، والدقة في الوصف، والإيجاز في العرض. وما زالت هذه الخصائص هي الخصائص الفنية العامة للمقالة الحديثة.

تعتمد المقالة على عناصر ثلاثة: لغة موجزة يراعى فيها اختيار الكلمات المناسبة ذات الدلالات الواضحة بعيدًا عن التكرار والزيادة، وفكرة الموضوع التي تعبر عن وجهة نظر كاتب المقالة في موضوع ما، وعاطفة تسهم في تقديم فكرة المقالة بفاعلية وتأثير كبيرين، وغالبًا ما تظهر العاطفة في الموضوعات الإنسانية.

٢- نوعا المقالة

المقالة الحديثة نوعان: المقالة الذاتية، والمقالة الموضوعية. فالمقالة الذاتية حرة في طريقة عرضها، لا يضبطها ضابط، ويندر فيها الجدل والنقاش وهي تُعنى بإبراز شخصية الكاتب، وتعبر عن تجربة حيوية تمرس بها. أما المقالة الموضوعية فتحرص على التقيد بما يتطلبه الموضوع من منطق في العرض والجدل وتقديم المقدمات واستخراج النتائج، فهي تعرضه بشكل مبسط وواضح خالٍ من الشوائب التي قد تؤدي إلى الغموض واللبس، ولا تكون شخصية الكاتب جلية فيها، إنما نراها ما بين السطور.

والمقالة الموضوعية قد تكون علمية، أو نقدية، أو سياسية، أو اجتماعية. ويتحدد حجم المقالة بتعدد فكرة موضوعها فقد تأخذ صفحة أو أكثر على ألا تكون صفحاتها كثيرة.

٣- المقالة في الأردن

لم يعرف الأردن المقالة إلا في القرن العشرين إثر انتشار التعليم وظهور الصحافة. إذ كان لإصدار المجلات، مثل مجلة «القلم الجديد» التي أصدرها عيسى الناعوري في عمان سنة (١٩٥٢م) ومجلة «المنار» في القدس، ومجلة «الأفق الجديد» تلتها مجلة «أفكار»، أثرٌ بيّنٌ في تطوير المقالة الأدبية الأردنية، فقد حرص كتّابها على عرض ما يقدمون بأسلوب جذاب، مستفيدين من أساليب الكتابة التي يستخدمها كتّاب عرب في مجلات أكثر عراقة.

ومن أشهر كتّاب المقالة الأردنيين: عيسى الناعوري، وحسني فريز، وعبد الحليم عباس، وخالد الكركي، وإبراهيم العجلوني، وطارق مصاروة، وحسين جمعة.

ونمثل بمقالة للكاتب الأردني الدكتور حسين جمعة بعنوان (أفكار والزمن):

" نصف قرن ومجلة أفكار تتحرك وتخطو بعناد ودون توقف يذكر، لم يخفت صوتها أو ينل الزمن من فتوتها وعز صباها، وكأنها سارية خفاقة تنبض بهبات العصر وعبق التبدلات الحادة، وجدية الاستمرار ومحاورة الخلود، وعدم الانصياع لحشرجات الزوال والفناء.

ثمة انطباع وشبه اتفاق على اعتدال مزاجها وتوجهها، وقبول سيرتها ومسيرتها، وتقبل ما تنسجه وتحوكه من مواد وموضوعات تساير مدركات الأغلبية، وتستحوذ على اهتمام القارئ متعدد

الميول والرغبات والأذواق، وتنفتح على المواهب الناشئة، ولا تتوقف على جيل دون آخر، أو تسير في خط ضيق يتبنى تيارًا معينًا ويقتصر عليه.

إنها ملك الجميع، تسعى دائمًا إلى تجاوز عرض القضايا والإشكاليات من منظور مغلق استبعادي لطرف على حساب رأي طرف معين، تأخذ بالوسطية في الطرح والتناول والأسلوب. وهذا التوجه حصّن الأسس وأشاد الأعمدة لصمود البناء، ولم يترك مجالاً لمسؤول أن يهدم الجدران ليقيم بُنيانه الفردي أو يخضعها لتصوره الخاص، ناهيك عن المسّ بجوهرها وصلب نواتها؛ فاحتفظت أفكار بلباقتها الفكرية وملامحها الثقافية العامة، وظلت ملك معظم المثقفين والهواة من شتى المذاهب والاتجاهات، ولم نشهد أحدًا تنكّر جادًّا لمشروعية خطها العام وانسيابية حراكها والوثوق من مصداقية خطوها ومسيرتها؛ فكان لها الأثر البليغ في الحياة الثقافية والأدبية والحراك الإبداعي في الأردن، وصمدت بثبات في وجه أي تراخٍ في الاستمرار أو التباطؤ في أوقات الصدور.

هذا لا يعني أن درب أفكار كان ممهدًا وعريضًا، ولم تتعرض لخضات وأوقات عصيبة، حيث أصابتها أوجاع المنطقة، وأجبرها العدوان الصهيوني الغادر عام (١٩٦٧م) على التوقف الإجباري عدة سنوات، لتعود إلى الظهور كدورية فصلية لأكثر من عقد من الزمان، وتتحول بعد ذلك إلى مجلة شهرية كعهدها الأول، لكن في شكل جديد وتنظيم شديد ما تزال تحافظ عليه حتى الآن؛ مع أن فصولها ومضامينها لم تشهد انتقالات جذرية واسعة، في ظل تتابع هيئات التحرير المتكررة، التي يجري تغييرها وفق إرادة المسؤولين الكبار، وحسب منظورهم الشخصي وتقديراتهم الذاتية وعلاقاتهم بالحراك الثقافي... هذه هي المرة الثالثة التي أسجل فيها انطباعاتي عن مجلة أفكار ودورها في الحراك الثقافي والفكري. وأشهد بإخلاص، بغض النظر عن بعض المتاعب التي تواجه المجلة ومحرريها، أن النية في الدفع بمسيرتها والاستظلال باندفاعاتها تراود الجميع، سواء أكانوا قراءً أم مسؤولين كبارًا ".

الأسئلة

١- علّق على كلٍّ مما يأتي:

أ - تمتاز المقالة بقربها من واقع الناس.

ب- المقالة وليدة الصحافة.

٢- علل: تطورت المقالة الأدبية الأردنية في النصف الثاني من القرن العشرين.

٣- وازن بين المقالة الذاتية والمقالة الموضوعية من حيث:

أ - طريقة العرض ب- الحجم جـ- شخصية الكاتب.

٤- عد إلى المقالة التي درستها ثم أجب عن الأسئلة الآتية:

أ - حدد فكرة الموضوع في المقالة.

ب- ما العاطفة التي تغلب على المقالة؟

جـ- ما مدى انسجام عنوان المقالة مع مضمونها؟

د - هات ثلاث خصائص من خصائص تلك المقالة.

٥- اذكر ممّا تعرف ثلاث مجلات ثقافية أردنية مشهورة، وثلاث مجلات ثقافية عربية متداولة.

٦- في رأيك، بم تصنف المقالة التي درستها؟ أيد إجابتك بما يدعم رأيك.

ثانيًا: الخاطرة

فن نثري حديث، ارتبط في نشأته بالصحافة في مختلف مناحيها الأدبية والثقافية والاجتماعية والسياسية، والخاطرة قصيرة نسبيًّا وتعبر عن فكرة عارضة طارئة كأنها ومضة ذهنية أو شعورية، وهي تندرج تحت عنوان ثابت في الصحيفة أو المجلة، وتكون عادة بلا عنوان.

كلمة "خاطرة" مأخوذة من عبارة (مرّ بالخاطر)؛ أي جال بالنفس أو القلب، وهو ما يمرّ بالذهن من الأمور والآراء. وقد وردت كلمة خاطر في كتاب «صيد الخاطر» لابن الجوزي، الذي أورد فيه مجموعة من الخواطر التي تُعنى بالقيم الإنسانية فقيّدها بالكتابة، لكي لا تُنسى.

وقد ظهرت مجموعة من الكُتّاب العرب ممن اشتُهروا بكتابة الخاطرة، نذكر منهم: أحمد أمين، وخليل السكاكيني، وجبران خليل جبران. ومن الكُتّاب الأردنيين: صلاح جرار، ولانا مامكغ، وأحمد حسن الزعبي، وإبراهيم العجلوني.

يغلب على الخاطرة الجانب الوجداني المليء بالإحساس الصادق والعواطف الجياشة، فلذلك يمكن أن يتطرق كاتب الخاطرة إلى جوانب ليس لها حدود في ما يخطر في باله، وتتلاءم مع متطلبات القراءة السريعة.

تختلف الخاطرة عن المقالة بشكل عام من حيث:

١- الحجم، فالخاطرة عادة تكون قصيرة لا تتجاوز الصفحة، أما المقالة فقد تبلغ عدة صفحات.

٢- لا تعتمد الخاطرة على إيراد الأدلة والبراهين لإثبات رأي أو قناعة ما، بينما نجد ذلك واضحًا في المقالة، ولا سيّما المقالة الموضوعية.

٣- تعتبر الفكرة في الخاطرة وليدة لحظتها وطارئة، أما فكرة المقالة فهي مدروسة ومنتقاة.

٤- تكتب الخاطرة بتلقائية كفقرة واحدة متواصلة، بينما للمقالة شكل خاص وعناصر محددة.

الخصائص الفنية للخاطرة

الخاطرة الجيدة تكون قوية التعبير تعبر عما في نفس كاتبها، وتكون فكرتها واضحة، وجملها متوازنة تتلاءم مع مستوى إدراك القارئ، وتعتمد أحيانًا بحسب موضوعها ونوعه على الصور الفنية والتشبيهات المجازية والاستعارات ما يجعل لها تأثيرًا في نفس القارئ.

ونمثل بخاطرة للكاتب الأردني إبراهيم العجلوني:

« نذكر من مجتمع القرية الذي أدركناه صغارًا أن ثمة شخصيات كانت تمثّل مجموعة من القيم ذات الحضور في ذلك المجتمع البسيط المحدود. كان (فلان) رمزًا للقوة البدنية التي قد تنعقد حولها الأساطير، وكان (علاّن) رمزًا للتقوى البالغة درجة الولاية ذات الكرامات، وكان في القرية من يبلغ في الذكاء مرتبة لا مزيد وراءها ومن يبلغ في النخوة أو في الكرم مبلغًا يذكّر بعنترة العبسي أو بحاتم الطائي. وفي الجملة يمكن القول: إنه كان لكل قيمة عُليا من القيم التي تعطي للحياة معنى من يمثلها أو يقدم أنموذجًا مشهودًا لها. حتى في مجتمع المدينة الصغيرة لأول تشكّله كان ثمة من هو مثال في البطولة أو في الغنى (القوة الخيرة والمال المحترم) أو في الذكاء والدهاء (الإدارة والسياسة) أو في غير ذلك من مناحي الحياة وتجلياتها. الآن.. وبعد تطاول العقود وتراخي السنين وتفاقم الازدحام صرنا نبحث عن أنموذجات ملموسة للقيم بحث الظمآن في البيداء عن شربة ماء، ولم يتمخض العدد الكبيرُ التماوجِ عن كيفيات يُستهدى بها إلا أن يكون ذلك فَبْركة أو صناعة إعلامية أو دعوى داحضة بغير دليل. لقد تقدمنا على المستوى المادي الاستهلاكي، وتخلّفنا تخلّفًا معجبًا على مستوى (القيمة)، فامتلكنا ظاهر الغنى وواقع الفقر في لحظة حرجة لا بد أن تتظاهر الإرادات منّا على تجاوزها، لقد شغفنا شغفًا مرضيًّا بالتنمية التي لا تزكية للقلوب فيها، وصار (التراكم الكمّي) هو غايتنا القصوى ومبتغانا الرئيس، وغفلنا عن الجانب الأخلاقي من حياتنا حتى إن (العقل) وهو النصير الظهير للأخلاق صار عندنا (عقلًا أداتيًّا)، يمارس مهاراته في نقض القيم التي تمنح الحياة معناها ويمتثل صاغرًا في خدمة (اللا أخلاقية) التي تلقي بظلالها الكئيبة على واقع البشرية البئيس. حال تقتضي – لدى العقلاء – التماس سبل النجاة منها.. فالتمسوا لأنفسكم إن كنتم تعقلون».

باستعراض النموذج السابق نلاحظ أن الكاتب يقارن بين مجتمعين تطاولت بينهما العقود وتبدلت فيهما القيم، وأصبح الكمُّ مقدَّمًا على النوع، وقد عبّر عما يجول في نفسه بوضوح وبجمل متوازنة تلائم مستوى إدراك القارئ أيًّا كانت ثقافته بعيدة عن التعقيد والتكلف، ومركزًا على الجانب الوجداني حين يطلب التماس سبل النجاة من الحال التي انتهينا إليها.

الأسئلة

١- عرف الخاطرة لغة واصطلاحًا.

٢- وازن بين الخاطرة والمقالة من حيث: الحجم، والفكرة، والعنوان.

٣- علل ما يأتي:

أ - تطرق كاتب الخاطرة إلى جوانب ليس لها حدود.

ب- توظيف الصور الفنية الجمالية في كتابة الخاطرة.

جـ- تسمية ابن القيم الجوزية كتابه « صيد الخاطر».

٤- اقرأ الخاطرة الآتية للكاتب أحمد أمين ، ثم أجب عن الأسئلة التي تليها:

«يلاحظ الإنسان في أعماق نفسه قوة تحذره من فعل الشر إذا أُغرِيَ به وتحاول أن تمنعه من فعله، فإذا هو أصرّ على عمله أحس بانقباض نفسه أثناء العمل لعصيانه تلك القوة، حتى إذا أتم العمل أخذت هذه القوة توبخه على الإتيان به وبدأ يندم على ما فعل. كالطالب يحاول الغش في الامتحان فيحس صوتًا باطنيًّا يناديه ألا يفعل، فإذا لم يسمع لهذا الصوت وبدأ يغش أحس أن هذه القوة تثبطه، فإذا استمر في عمله أنّبَتْه وندم وعزم ألا يعود. كذلك يحس أن هذه القوة تأمره بفعل الواجب فإذا بدأ في عمله شجعته على الاستمرار فيه، فإذا انتهى منه شعر بارتياح وسرور، وبرفعة نفسه وعظمتها؛ كالطالب يرى آخر مشرفًا على الغرق فينقذه، فحين إنقاذه يشعر بتشجيع نفسه على المُضيّ في عمله؛ فإذا أتم ذلك شعر بغبطة وسعادة، هذه القوة الآمرة الناهية تسمى « الضمير» - كما رأيت - تسبق العمل وتقارنه وتَلحَقه، فتسبقه بالإرشاد إلى عمل الواجب، والنهي عن الرذيلة، وتقارنه بالتشجيع على الخير، والتثبيط عن الشر، وتلحقه بالارتياح والسرور عند الطاعة، والشعور بالألم والوخز عند النسيان».

أ - ما الفكرة التي عالجتها الخاطرة؟

ب- مثل من الخاطرة على خصيصتين من الخصائص الفنية للخاطرة.

جـ- وازن بين خاطرتي: إبراهيم العجلوني وأحمد أمين من حيث:

الحجم، مراعاة الجانب الوجداني، وضوح الفكرة، التشبيهات والمجازات.

٥- في رأيك، لمَ تكون الخاطرة عادةً بلا عنوان؟

النشاط

- تخيل أنك جالس ليلًا تنظر في السماء، متفكرًا ببديع خلق الله. اكتب خاطرتك واعرضها على معلمك، ثم اقرأها على زملائك في الصف.

ثالثًا: القصة القصيرة

فن أدبي نثري يتناول حكاية ما تعالج قضايا الإنسان ومشكلاته وتطلعاته وآماله.

لا يمكن لباحث أن يقر بالموطن الذي نشأت فيه القصة القصيرة على وجه التحديد، ويرى كثير من الباحثين أن القصص الأوروبية في عصر نهضة أوروبا تأثرت بالأدب الفارسي المتمثل في كتاب «كليلة ودمنة» الذي ترجمه ابن المقفع إلى العربية وكانت فكرته الأساسية القصص التي تقال على ألسن الحيوان.

وللقصة حضور في الأدب العربي؛ فالأمثال العربية قصصٌ في إطار محكم، وتذكر المصادر بعض القصص العاطفية القديمة بوصفها مثالًا على البداية المبكرة لظهور القصة القصيرة في التراث العربي، مثل قصة «زنوبيا»، وقصة «المُرَقِّش الأكبر» مع أسماء بنت عوف، كما كان للعرب قصص تاريخية استُقيت من أيامهم وبطولاتهم وأُعمل فيه مخيلات كاتبيها.

ظهرت القصة القصيرة فنًّا أدبيًّا عربيًّا في العصر الحديث في بدايات القرن العشرين، وتذهب بعض الآراء إلى أن أول قصة قصيرة عربية بالشكل المتعارف عليه كانت قصة «في القطار» لمحمد تيمور. ومن أشهر كتاب القصة القصيرة زكريا تامر، ويوسف إدريس، ومحمود سيف الدين الإيراني.

١- القصة القصيرة في الأردن

تتحدد بدايات القصة القصيرة الأردنية بظهور المجموعة القصصية «أغاني الليل» (١٩٢٢م) لمحمد صبحي أبو غنيمة. أما مجموعة «أول الشوط» (١٩٣٧م) لمحمود سيف الدين الإيراني فتعدّ بداية شوط قصصي طويل لكاتب تمكن من متابعة تجربته وتطويرها طوال العقود المتتالية، وأسهم عن طريق شخصيته وثقافته وإنتاجه المتصل في تأكيد مكانة القصة القصيرة بين الفنون الأدبية.

وثمة عوامل ساعدت على تطور فن القصة القصيرة في الأردن، أهمها عاملان: سياسي، وثقافي:

أ – **العامل السياسي**: كان لتغير البنية السياسية للأردن من إمارة إلى مملكة عام (١٩٤٦م) إسهام كبير ساعد على تطور القصة القصيرة وباقي مناحي الحياة الأدبية، ولا سيما أن الملك عبد الله الأول – رحمه الله – كان ممن شاركوا في إرساء قواعد هذه النهضة وذاك التطور.

ب– **العامل الثقافي**: تمثّل بالتوسع في التعليم نوعًا وكمًّا بمراحله المختلفة، وانتشار وسائل الثقافة وتعدد المؤسسات المعنية بها والداعمة لحركة النشر، علاوة على أن معظم الصحف الأردنية خصصت ملاحق ثقافية احتفت بنشر الإنتاج القصصي، كما ظهرت الاتحادات والروابط الأدبية والثقافية، مثل: نادي أسرة القلم، ورابطة الكتاب الأردنيين، واتحاد الكتّاب والأدباء الأردنيين.

اهتمت القصة القصيرة في هذه الحقبة بالرؤية الداخلية، بحيث أصبحت تكشف عن أعماق الشخصية ونبضها وحركتها الانفعالية، دون أن يكون هناك كبير عناية بالعالم الخارجي، إلا من حيث كونه مثيرًا لانفعالات الشخصية وحركتها الداخلية، ويتبع ذلك كثرة الاعتماد على الراوي المتكلم الذي يروي قصته بنفسه.

وشهدت الألفية الجديدة أصواتًا جديدة في كتابة القصة القصيرة وإصدار المجموعات القصصية مثل: جمال ناجي، وجمال أبو حمدان، وعقلة حداد، وسناء الشعلان، وسعود قبيلات، ونايف النوايسة، ومفلح العدوان.

٢– عناصر القصة القصيرة

أ – **الحدث**: هو أوضح العناصر في القصة وأكثرها شيوعًا، وهو مجموعة من الوقائع والأفعال التي يرتبط بعضها ببعض ويتبع بعضها بعضًا، وعليه تقوم القصة القصيرة؛ لأنه يتصف بالوحدة لا التعدد، ويستقطب انتباه القارئ. ولكي يحقق الكاتب هذا الهدف يعمد إلى طريقة سهلة مبسطة، فهو يرسم المَشاهد ويصف المواقع التي تدور فيها الأحداث بحيث تصبح كأنها ستارة من ستائر المسرح الخلفية.

ب– **الشخوص**: هي التي يقع لها الحدث أو يحدث معها الفعل المرتبط به وتتفاعل معه. وتعد الشخصية الإنسانية مصدر إمتاع وتشويق في القصة، لعوامل كثيرة؛ منها أن هناك ميلًا طبيعيًّا عند كل إنسان إلى التحليل النفسي ودراسة الشخصية.

جـ- **البيئة (الزمان والمكان):** بيئة القصة هي حقيقتها الزمانية والمكانية؛ أي كل ما يتصل بوسطها الطبيعي.

د - **الحوار:** هو كل كلام يجري بين شخصين أو أكثر من شخوص القصة. وهو من أهم الوسائل التي يعتمدها الكاتب في رسم الشخوص وبناء حبكته القصصية، وبواسطته تتصل شخوص القصة في ما بينها اتصالًا صريحًا مباشرًا.

والحوار في القصة نوعان :

١. الحوار الداخلي (المونولوج): وهو حديث الشخصية مع ذاتها في القصة.

٢. الحوار الخارجي (الديالوج): وهو ما يدور بين شخوص القصة من حديث.

هـ- **الحبكة (العقدة):** هي سلسلة الأحداث التي تجري في القصة، حيث تتأزم وصولاً إلى الذروة، مرتبطة عادة برابط السببية. وهي لا تنفصل عن الشخوص، وبداية الصراع في القصة هو بداية الحبكة، والحادث المبدئي هو المرحلة الأولى في الصراع، ونهاية الصراع هي نهاية الحبكة.

و- **الحل (النهاية):** تنتهي القصة القصيرة بإحدى النهايتين الآتيتين:

١. النهايات المفتوحة: يترك الكاتب في نهاية قصته مجالًا للتفكير كأن يختم قصته باستفهام في ختام الصفحة الأخيرة، فتكون النهاية أكثر إثارة للقارئ ودفعًا لفضوله، وحثًّا لمخيلته كي تنشط وتجهد، فيبقى النص معلقًا متأرجحًا لاحتمالات متعددة.

٢. النهايات المغلقة: يكون الكاتب قد أوجد الحل في نهاية قصته. فهي لا تترك وراءها سؤالًا أو استفهامًا، بل ترد في صيغة إخبارية تقريرية.

وفي ما يأتي نموذج قصة قصيرة للكاتب الأردني عقلة حداد بعنوان " القهوة والخريف":

«أفقتُ مبكرًا، أشعلت النور ونظرت إلى الساعة، فإذا بها قد تجاوزت الثالثة والنصف بقليل.. تركت السرير واتجهت إلى النافذة لأملأ صدري ببعض الهواء.. داهمتني العتمة، فلم أميز شيئًا بادئ الأمر، غير أني لمحت خيوط النور الضعيفة تنتشر في دوائر ضيقة..

الصمت يطبق على كل شيء.. ومن بعيد تأتي خشخشة السماعات، لعله المؤذن يستعد ويتحفز ليدعو الناس للعبادة..

أَحسّ الظلامُ بدبيب الحياة، ونفذ الخوف إليه حينما تململ الفجر، فبدأ يسحب أطراف وشاحه، ويلملم ثنايا ردائه، ويتجه نحو بحر الظلمات.. في اللحظات تلك تركتُ النافذة.. وتجولتُ في أطراف البيت. كانت نغمات التنفس هي الشيء الوحيد المميز.. فكرتُ أن أبعث الحركة فيهم ليستمتع الجميع معي بروعة اليقظة المبكرة، لكن صوتًا من خلفي فاجأني وهو يقول: صباح الخير يا أبي..

– التفتّ إلى الخلف: مَن؟

– بِشْر!

– ابتسمت له قائلًا: أخفتَني يا ولدي وأفسدتَ عليّ خطّتي..

– أحببتُ أن أسيطر على برنامج الدراسة الذي وضعتُ..

– وفّقك الله..

تركني وفي وجهه التصميم، وفي عينيه الإرادة والعزم.. رحتُ أفكر فيه.. فتًى في مقتبل العمر قوي الإرادة، تعدّى السادسة عشرة ببضعة أشهر..

ما هذا الصوت؟!.. إنه صوت تنفس الصغيرة «رانية». حرّكتُها قليلًا إلى أن عاد التنفس طبيعيًّا.. رتبت الغطاء على جسمها، نظرت إليها، فرأيت ملامح الطفولة على وجهها وصور البراءة على محياها. يا لها من طفلة شقية، كثيرة الحركة.. حتى في نومها هي كذلك.

آه؛ لقد نسيت القهوة.. ربما (فارت) وأنا أفكر بهذه الصغيرة.. أسرعتُ، لكني وصلت متأخرًا فقد انطفأ الغاز وانسكبت القهوة.

سأل «بِشْر»: هل هناك شيء على (الغاز) يا أبي؟ فابتسمتُ..

وضعت الإبريق من جديد على (الغاز)، واتجهت للنافذة.. وحينما اقتربتُ فاجأني هزيم الرعد القوي، ووميض البرق الشديد، وانهمر المطر بعنف، والزخات تُصدر موسيقا خاصة وهي تسقط على أوراق الخريف وفوق أغصان الشجر.. أهي عاصفة؟ كيف تأتي ونحن نعاني من موجة حَرّ وخمول! ربما هي عاصفة عابرة. ما أجمل المطر وهو يدقُّ النوافذ! وما أروع رشقاته وهي تضرب الشارع في موسم غير متوقّع! اشتدي أيتها العاصفة ونظّفي الشوارع..

سأوقظ زوجتي لتشاهد المطر معي والعاصفة.. ولكنها تخشى البرق والرعد. ربما هي

مستيقظة ..لا..لا.. إنها متعبةٌ جدًا هذه الزوجة الرائعة.. كم هي جادّة في عملها، حماستها هي هي، داخل البيت وخارجه مخلصةٌ وفيّةٌ، كانت معي طوال سنوات الرحلة، بالمستوى نفسه من الحماسة والقوة والاندفاع، تقف بجانبي، دومًا تناقشني، تريدني ألا أتراجع، وأن أتقدم دومًا وباستمرار، لم تتذمر يومًا وفي أحلك الظروف كانت معي، فهل أبخل عليها في هذا الفجر الخريفي العاصف بفنجان من القهوة نحتسيه معًا ونحن نسمع المطر يعزف على نوافذ الواجهة الزجاجية؟!

أيقظتُها وقلت لها: «انهضي لقد جاء ضيف لمدينتنا.. جاء رسول الشتاء في وقت مبكر هذا العام.. إنه المطر.. انظري إليه وهو ينهمر بقوة، ورشقاته تضرب الأرض بعنف، والبرق يشرع سيفه، والرعد يضرب طبوله.. هيا انهضي».

فتحتْ عينيها على وميض البرق، ثم سمعت قصف الرعد: ما هذا؟! أهي عاصفة؟

أجل يا زوجتي.. انهضي لنشرب فنجانًا من القهوة أمام هذه اللوحة العنيفة.

وأسرعتُ إلى المطبخ من جديد عندما تذكرتُ القهوة. لحقتْ بي الأسرة عندما ندتْ عني صرخة لا إرادية وأنا أشاهد الإبريق بلا ماء، ولونه رمادي كأوراق الخريف.. أحسّت الأسرة بالحزن الخريفي المتفشي في أعماقي، اقتربوا جميعًا مني.. التفّوا حولي، وأخذوا بيدي إلى الغرفة المطلة على العاصفة.. ودون أن يقولوا شيئًا، كانت القهوة على موقد الغاز تُصْنَع من جديد».

باستعراض النموذج السابق للقصة القصيرة نجد أن شخصية البطل اهتمت بسرد الأحداث والوقائع التي جرت في مكان معين وهو المنزل الذي يسكن فيه مع أسرته، وفي زمن معين هو وقت الفجر. وبالرغم من أن البطل روى بلسان المتكلم إلا أن الحوار بنوعيه قد ظهر – وإن كان مقتضبًا – بين الأب وابنه بشر وزوجته،وحواره مع نفسه. ويلحظ اهتمام القصة بالرؤية الداخلية لشخصية البطل وكشفها عن أعماق شخصيته وحركاته الانفعالية وتأثره بالعالم الخارجي المثير للانفعالات الشخصية، كما يبدو الصراع فيها جليًّا عند نسيان القهوة وهي تفور وكون ذلك دليلًا على الحزن الذي يتفشى في أعماقه. وقد أبدع الكاتب في توظيف الصور البيانية التي أضفت على النص جمالًا وحيوية، ومن ذلك مداهمة العتمة له، وإحساس الظلام بدبيب الحياة، وسماعه عزف المطر على واجهة الزجاج الأمامية.

الأسئلة

١– عرف ما يأتي:

القصة القصيرة، الحوار الداخلي، الحبكة.

٢– للقصة القصيرة حضور في الأدب العربي القديم، وضح ذلك.

٣– علل ما يأتي:

أ – يعد عنصر الحدث من أبرز عناصر القصة.

ب– الشخوص في القصة من مصادر التشويق والإمتاع.

جـ– تعد المجموعة القصصية « أول الشوط » لمحمود سيف الدين الإيراني البداية الحقيقية للقصة في الأردن.

٤– من مؤلف كلٍّ.

٥– بين أهم عوامل ازدهار القصة القصيرة في الأردن.

٦– أ – أيهما تفضل النهايات المغلقة أم النهايات المفتوحة في القصة القصيرة؟ بين سبب تفضيلك إحداهما.

ب– ما رأيك في النهاية التي انتهت إليها القصة القصرة "القهوة والخريف"؟

النشاط

- عد إلى المكتبة، واختر قصة لأحد الكتّاب الآتية أسماؤهم، ولخصها محافظًا على عناصرها الرئيسة: جمال أبو حمدان، وسناء الشعلان، وسعود قبيلات.

رابعًا: السيرة

فن نثري أدبي يتناول حياة شخصية إنسانية ذات تميّز وافتراق، تُعتمد فيها الروح القصصيّة؛ ولكنها قصصيّة غير حرّة؛ فهي مرتبطة بالتاريخ الحقيقي لصاحب الشخصية، ويمكن أن يكون فيها قدر من الخيال الذي لا يُخلّ بالتاريخ.

ولا تعني كتابة السيرة أن يقصر الكاتب حديثه على حياة صاحب السيرة الخاصة، فقد يتحدث عن قضايا المجتمع وعلاقة صاحب السيرة بها، لكون صاحب السيرة فردًا من المجتمع يؤثر فيه ويتأثر به.

١- نوعا السيرة

أ - **السيرة الذاتية:** يحكي فيها الكاتب عن حياته - أو جزء منها- وغالبًا ما يقدم الكاتب ميثاقًا لسيرته الذاتية يعد فيه القارئ أن يقول الحقيقة عمّا عاشه فعلًا. فالسيرة توضّح مواقفه من المجتمع وتكشف فلسفته وآراءه وتفسر اتجاهاته، وقد يعترف بالأخطاء التي ارتكبها في مرحلة ما من حياته.

وتكتب السيرة الذاتية غالبًا بضمير المتكلم، إلا أنّ بعض الكُتّاب استخدموا ضمير الغائب مثل طه حسين في كتابه «الأيام».

ب- **السيرة الغيرية:** يكتب فيها المؤلف عن شخصية ما، وهو في هذه الحالة يتحدث عن الشخصية في بيئتها وزمانها، معتمدًا على النقل والذاكرة أو المشاهدة، مع توخي الدقة والموضوعية والحياد في نقل الأحداث والوقائع، وتحليل الظروف التي أحاطت بها: مولدًا ونشأةً وتعليمًا، وكشف أثرها في شخصية صاحبها وخبراته وآرائه. كما أن كاتبها ملزم بتنوع مصادره التي يعتمدها في ما يكتبه عن الشخصية التي يسرد سيرتها.

والأصل أن يتناول حياة شخص جدير بالاهتمام له مكانة في المجتمع، أو حقق إنجازات سياسية أو ثقافية أو فكرية أو اجتماعية أو اقتصادية؛ مثل عبقريات العقاد.

والمنهج الشائع في كتابة السيرة أن يتتبّع الكاتب حياة صاحب السيرة بالتسلسل الزمني؛ أي أن يتحدث عن مراحل حياته بالتوالي، حتى يختمها بالموت. والكاتب

إذ يحافظ على التسلسل الزمني ينتقي من حياة صاحب السيرة مواقف دالة، ويعرضها للقرّاء بأسلوب منهجي علمي، وبصورة مؤثرة. وقد يترجم له من غير التسلسل الزمني. مثل كتاب «حياة الرافعي» للعريان(١).

٢- مراحل ظهور السيرة في الأدب العربي

مرت كتابة السيرة بمرحلتين:

أ - المرحلة التاريخية: وقد ركزت على الجانب التاريخي، ومنها «سيرة ابن اسحاق» التي هذّبها ابن هشام الأنصاري وصارت تعرف بسيرة ابن هشام، وتحدث فيها عن سيرة الرسول ﷺ ، وكتاب «المغازي» للواقدي.

ب- المرحلة الأدبية: وهي ذات طابع أدبي، ظهرت في القرن الخامس الهجري وأشهرها: كتاب «الاعتبار» لأسامة بن منقذ(٢)، الذي تحدث فيه عن حياته وفروسيته ومجتمعه زمن الحروب الصليبية.

أما في الأدب الحديث فأوّل سيرة ذاتية ظهرت سيرة أحمد فارس الشِّدياق التي دونّها في كتابه «الساق على الساق في ما هو الفارياق» المطبوع في منتصف القرن التاسع عشر، وقد حاز الكتاب شهرة واسعة في الأدب العربي لما اتسم به من سلامة اللغة، وقوة العبارة، وروح السخرية، والاستطرادات والانسياق وراء الترادف اللغوي، والتلاعب بالألفاظ والحوار المصنوع.

وفي مطلع القرن الماضي ظهر كتاب «الأيام» لطه حسين الذي توافرت فيه مجموعة من العوامل جعلت منه سيرة ذاتية رفيعة، أهمها: الأسلوب القصصي، واللغة الشاعرية الجميلة، والسلاسة والعذوبة في طرح الأفكار والآراء، والقدرة على التصوير والتلوين، والصراحة، والجرأة في كشف الواقع، وروح النقد والسخرية اللاذعة، ولا تزال له شهرة واسعة في العالم العربي.

---

(١) محمد سعيد العريان (١٩٠٥-١٩٦٤) أحد كبار كتّاب مصر، اشتغل بالتدريس، شارك في تحرير عدد كبير من المجلات وفي قصص الأطفال وفي تحقيق الكتب المخطوطة. تعتمد شهرته على ما أصدر من روايات تاريخية.

(٢) أسامة بن مرشد بن عليّ بن منقذ، ولد بشيراز، وانتقل إلى مصر وقاد عدّة حملات على الصليبيين في فلسطين، له تصانيف في الأدب والتاريخ، (ت ٥٨٤هـ).

ومن أبين المحاولات ذات الطابع الأدبي في السيرة الحديثة «حياة الرافعي» للعريان، وعبقريات العقاد، و«جبران» لميخائيل نُعيمه، و«رحلة جبليّة رحلة صعبة» لفدوى طوقان، و«غربة الراعي» لإحسان عباس، و«الشريط الأسود» لعيسى الناعوري، و«إيقاع المدى» لمحمود السّمرة.

٣- شروط كتابة السيرة (الذاتيّة والغيريّة)

لا بد من توافر شروط في السيرة وفي كاتبها حتى تكون سيرة ناجحة منها:

أ - في السيرة

١. التركيز على حياة الشخص صاحب السيرة دون التوسع في الحديث عن حياة من لهم صلة به من الأشخاص.
٢. الموضوعية في تناول شخصية صاحبها، والابتعاد عن العاطفة الزائدة التي يمكن أن تحرف السيرة عن وضعها الطبيعي.
٣. توظيف الخيال من غير إغراق فيه؛ لأن طغيان الخيال يخرج السيرة عن نطاقها.
٤. مراعاة النمو والتطور في سلوك الشخصية بما يتناسب والتقدم في سِنّه وغنى خبراته.
٥. استخدام الأسلوب المعبّر الشّائق القادر على جذب انتباه القارئ.
٦. يمكن أن يستطرد الكاتب ويسهب ويطوّل في وصف شخصية صاحب السيرة.

ب- في كاتبها

١. أن يكون لدى الكاتب القدرة على اختيار المعلومات التي تستحق التسجيل في السيرة، وهذه القدرة تتطلب ذوقًا أدبيًّا رفيعًا ودقة ملاحظة، وقدرة على المقارنة والموازنة.
٢. أن يتوخّى الكاتب الحقيقة والصدق والدقة والموضوعية. فهو أديب فنّان كالشاعر والقاصّ في طريقة العرض، ولكنه لا يخلق الشخصيات من خياله، بل يرسمها بصورة بارعة معتمدًا على الواقع وما توافر لديه من معلومات.
٣. أن يتمتع بسعة الثقافة وكثرة الاطّلاع على ما يحيط بعصر صاحب السيرة.

وفي ما يأتي نموذج للسيرة الذاتية لطه حسين من كتابه « الأيام » :

" عرفته في الثالثة عشرة من عمره حين أُرسل إلى القاهرة ليختلف إلى دروس العلم في الأزهر..، كان نحيفًا شاحب اللون مهمل الزّيّ أقرب إلى الفقر منه إلى الغنى، تقتحمه العين اقتحامًا في عباءته القذرة وطاقيته التي استحال بياضها إلى سواد قاتم، وفي هذا القميص الذي يبين أثناء عباءته وقد اتخذ ألوانًا مختلفة من كثرة ما سقط عليه من الطعام، وفي نعليه الباليتين المرقعتين. تقتحمه العين في هذا كله، ولكنها تبتسم له حين تراه، على ما هو عليه من حال رثّة وبصر مكفوف، واضح الجبين، مبتسم الثغر، مسرعًا مع قائده إلى الأزهر، لا تختلف خطاه، ولا يتردّد في مشيته، ولا تظهر على وجهه هذه الظلمة التي تغشى عادة وجوه المكفوفين. تقتحمه العين ولكنها تبتسم له، وتلحظه في شيء من الرفق، حين تراه في حلقة الدرس، مصغيًا كله إلى الشيخ يلتهم كلامه التهامًا، مبتسمًا مع ذلك لا متألمًا ولا متبرمًا، ولا مظهرًا ميلًا إلى لهوٍ، على حين يلهو الصبيان من حوله أو يشرئبّون إلى اللهو. عرفته يا ابنتي في هذا الطَّور، وكم أحب لو تعرفينه كما عرفته، إذن تقدّرين ما بينك وبينه من فرق. ولكن أنّى لكِ هذا وأنتِ في التاسعة من عمركِ ترين الحياة كلها نعيمًا وصفوًا.

عرفته ينفق اليوم والأسبوع والشهر والسنة لا يأكل إلا لونًا واحدًا، يأخذ منه حظه في الصباح ويأخذ منه حظه في المساء، لا شاكيًا ولا متبرمًا ولا متجلدًا ولا مفكرًا في أن حاله خليقة بالشكوى. ولو أخذت يا ابنتي من هذا اللون حظًّا قليلًا في يوم واحد لأشفقت أمُّك، ولقدمت إليك قدحًا من الماء المعدني، ولانتظرت أن تدعو الطبيب. لقد كان أبوكِ ينفق الأسبوع والشهر لا يعيش إلا على خبز الأزهر... وكان ينفق الأسبوع والشهر والأشهر لا يغمس هذا الخبز إلا في العسل الأسود، وأنتِ لا تعرفين العسل الأسود، وخير لكِ ألا تعرفيه".

يتحدث طه حسين في النص السابق عن طفولته بما تحمل من معاناة، ونلحظ أنه كان صريحًا إلى حدٍّ كبيرٍ، وكان واقعيًّا في تسجيل سيرة حياته، وفي حديثه عن الناس الذين تعامل معهم، أو درس على أيديهم، فقد كشف علاقات الناس وسلوكهم، ونقدهم وبيان الحالة الاجتماعية في ذلك الوقت، ووصف حياته في جامع الأزهر ناقدًا، وصور الصراع بين الإنسان وبيئته، فهو يصف مراحل حياته ويتدرج بها، معتمدًا على أنها خير مثال للانتصار على واقعه المرير.

الأسئلة

١– ما مفهوم السّيرة الذّاتية في الأدب العربي الحديث؟

٢– ميّز السيرة الذاتية من الغيرية مما يأتي:

أ – جبران ب– غربة الراعي جـ– رحلة جبلية رحلة صعبة

د – إيقاع المدى هـ– حياة الرافعي

٣– لِمَ نالت سيرة أحمد فارس الشّدياق التي دوّنها في كتابه «الساق على الساق في ما هو الفارياق» شهرة واسعة في الأدب العربي؟

٤– أ – بين العوامل التي جعلت كتاب «الأيام» لطه حسين سيرة ذاتية رفيعة؟

ب– كيف تقيّم النص المختار من سيرة طه حسين «الأيام» في ضوء فهمك لشروط كتابة السيرة؟

٥– ما الذي يغري الأدباء بكتابة السيرة؟

٦– علل ما يأتي:

أ – لا تقتصر كتابة السيرة الذاتية على حياة الفرد الخاصة.

ب– من شروط كاتب السيرة الدقة والموضوعية.

جـ– عدم الاعتماد على الخيال وحده في كتابة السيرة، مع أنّها عمل أدبي.

٧– في رأيك، لم يجب أن يتمتع كاتب السيرة بسعة الثقافة وكثرة الاطلاع على ما يحيط بعصر صاحب السيرة؟

النشاط

- تذكر مسيرتك الدّراسية في المرحلة الثانوية وحاول أن تكتب فصلًا من سيرتك الذاتية بأسلوب أدبيّ، ثم اعرضها على معلمك.

خامسًا: الرّواية

فن أدبي نثري، يعتمد السرد في وصف شخصياتٍ وأحداثٍ على شكل قصة متسلسلة طويلة. وتجتمع في الرواية مجموعة عناصر متداخلة؛ أهمها الشخصيات والأحداث والزمان والمكان والحوار والسرد. وهي الآن من أكثر الفنون الأدبية انتشارًا وشهرة. وتتصف الرواية بالتشويق وتنوع أساليب سردها؛ إذ لا قانون للكتابات الروائية فهي تمنح الكاتب حرية الإبداع، فيبني عالمه الروائي من سرد الأحداث وعرضه للزمان والمكان والأشخاص، وانتقائه اللغة المناسبة بطريقة خاصة تجسد ميوله الإبداعية والثقافية وأفكاره وخصوصية المجتمع الذي يمثله.

١- النشأة والتطور

للرواية أصولٌ في التراث العربي القديم، فقد كان التراث حافلًا بإرهاصات قصصية، تمثلت في فن المقامات وحكايات السُّمّار والسِّيَر الشعبية وقصص الصعاليك وأضرابهم، فقصة «حي بن يقظان» لابن طفيل، وقصص «ألف ليلة وليلة» وغيرهما أمثلة على وجود فن الرواية في أدبنا العربي القديم.

وقد تركت المقامات بصمات واضحة في مؤلف محمد المويلحي[١] «حديث عيسى بن هشام» وفي مؤلفات غيره من الذين اتخذوا من أسلوب المقامة شكلًا فنيًّا لهم، فقد أراد المويلحي أن يستخدم القالب الروائي لتصوير التناقضات في المجتمع المصري آنذاك، بلغة السرد الروائية التقليدية التي تقوم على التتابع الزمني وربط المقدمات بالنتائج. وهناك إجماع في الأوساط النقدية على أن رواية «زينب» التي كتبها محمد حسين هيكل ونشرها سنة (١٩١٢م) هي أول رواية عربية ناضجة.

وبعد ذلك ظهر جيل من الكُتّاب ألّفوا كثيرًا من الروايات، منها: «يوميات نائب في الأرياف» لتوفيق الحكيم، ورواية «سارة» لعباس محمود العقاد، و«دعاء الكروان» لطه حسين، و«أولاد حارتنا» لنجيب محفوظ التي كانت أحد أسباب نيله جائزة نوبل العالمية في الأدب

---

(١) محمد المويلحي (١٨٥٨-١٩٣٠م) نشأ في بيت ثراء وأدب، سنحت له الفرصة أن ينتقل إلى فرنسا وإيطاليا فيتقن الفرنسية والإيطالية، وفي عام (١٩٠٧م) نشر قصته «حديث عيسى بن هشام».

عام (١٩٨٨م). وفي سوريا ظهرت الرواية التاريخية «سيد قريش» لمعروف الأرناؤوط، وغيرها من الروايات.

تطورت الرواية العربية في القرن العشرين تطورًا ملحوظًا، واستقطبت اهتمام القُرّاء والنقاد على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم. كما تنوعت أساليب كتابتها واختلفت أشكالها وتعددت أنواعها وتياراتها وصيغ تقديمها، فظهر جيل آخر من الروائيين العرب، سمي بالحداثيين، خرجوا على رؤية الرواية التقليدية وتقنياتها، وظهرت على أيدي هؤلاء الكُتّاب مثل: صُنع الله إبراهيم، وحنّا مينا، وجمال الغيطاني، والطيب صالح ، وإميل حبيبي، وعبد الرحمن منيف، وغيرهم، رؤية روائية تحمل اتجاهات معاصرة وحداثية مختلفة، من أهم سماتها أن الخطاب الروائي تجاوز المفاهيم التقليدية حول الرواية في عصورها الكلاسيكية والرومانسية والواقعية؛ وتداخلت أساليبها مع تداخلات العالم الخيالي والواقعي والتاريخي؛ ما جعلها – سواء في حبكتها أو شخوصها – أكثر تعقيدًا وأعمق تركيبًا. ووصلت الرواية بذلك إلى دنيا النص المفتوح الذي يفضي إلى قراءات متعددة لا تصل إلى تفسير نهائي للخطاب الروائي.

٢– عناصر الرواية

يختلف فن الرواية عن غيره من الفنون السردية بطوله وتشابك أحداثه، وتعدد الشخصيات والأماكن والأزمنة فيه، إلا أنّ هناك عناصر مشتركة بينها وبين القصة القصيرة التي مرت بك، ومن العناصر التي تتمايز بها الرواية من غيرها:

السرد: وهو الوعاء اللغوي الذي يحتوي كل عناصر الرواية، وينقل الأحداث والمواقف من صورتها الواقعية إلى صورة لغوية تجعل القارئ يتخيلها وكأنه يراها بالعين، فلغة السّرد الروائية التقليديّة تقوم على التتابع الزمني وربط المقدمات بالنتائج، وأما أسلوب تقطيع المشهد أو الحادثة على مواقع مختلفة فإنه يجعل القارئ المتلقي يعيش حالة من التوتر والتشويق لمتابعة الأحداث ومصائر الشخوص.

وهناك طرق ثلاث لسرد أحداث الرواية، هي:

أ - **الطريقة المباشرة:** تعد أكثر الطرق شيوعًا، فيها يقف المؤلف خارج الأحداث ويروي ما يحدث لشخوص روايته.

ب- **طريقة السرد الذاتي:** تُروى الأحداث على لسان المتكلم، وهو غالبًا ما يكون بطل الرواية، ويبدو المؤلف وكأنه هو البطل.

جـ- **طريقة الوثائق:** يعتمد المؤلف على الخطابات والمذكرات واليوميات، ويتخذ منها أدوات لبناء رواية مترابطة الأجزاء.

وقد يلجأ الكاتب الرّوائي إلى طريقة من هذه الطرق ويترك أخرى، ولهذه الطرق السّردية وظيفة عامة شاملة تتمثل في تحقيق توازن البناء الرّوائي. وتتداخل الأساليب التعبيرية الفنية في الرواية لتشكل في النهاية الحبكة الفنية التي تشكل البناء القصصي للرواية.

٣- الرواية في الأردنّ

نشأت الرواية في الأردن في أعقاب ظهورها في بعض الأقطار العربية ولا سيما مصر والعراق وبلاد الشام، وهي جزء من مسيرة الرواية العربية الحديثة تخضع لما تخضع له هذه الرواية من مؤثرات، وتتأثر إلى حدّ كبير بمحيطها الثقافي، والتيارات والاتجاهات السائدة، وتكتسب هويتها من خلاله.

لم تستطع الرواية الأردنية في بدايات القرن الماضي أن تتعامل مع البناء الروائي بصورة فنية، إذ كان الكُتّاب يظهرون قدراتهم البلاغية في الإنشاء الأدبي في إطار تقليدي دون اهتمام بالبناء الفني الروائي.

ظهرت محاولات روائية مثل: «فتاة من فلسطين» لعبد الحليم عباس، و«مارس يحرق معداته» لعيسى الناعوري، و«فتاة النكبة» لمريم مشعل. ثم ظهرت رواية تيسير سبول «أنتَ منذ اليوم» عام (١٩٦٨م) وهي الرواية الوحيدة له، وتمتاز بأنّها أنموذج للرواية الأردنية المتناسقة فنًّا ومضمونًا؛ فقد تجاوزت الوصف المباشر للشخوص إلى التحليل النفسي الداخلي، معتمدة الحوار الداخلي، وعدّ النقاد هذه الرواية علامة على مرحلة مهمة في تأسيس الرواية الحديثة في الأردن، فهي رواية جديدة في بنائها وأسلوبها ولغتها وهدفها، إذ امتازت بأمرين: الأول: تصوير أزمة من أزمات وجودنا المعاصر، والثاني: أنها تضيف

جديدًا على صعيد البنية السردية يتمثل في كشف العلاقات الخفية بين الظواهر والأشياء التي قد تبدو في الظاهر والواقع المعيش متباعدة أو متنافرة أو مألوفة.

وممن حققوا شهرة واسعة في الرّواية الأردنية: غالب هلسا، الذي أصدر روايته «الضحك» عام (١٩٧٠م)، وجمال ناجي «الطريق إلى بلحارث»، وموٴنس الرّزاز «أحياء في البحر الميت»، وطاهر العدوان «وجه الزمان»، وإبراهيم نصر الله «مجرد اثنين فقط»، وسميحة خريس «شجرة الفهود»، وهاشم غرايبة «الشهبندر»، ومحمود الريماوي «حلم حقيقي»، وجلال برجس « أفاعي النار»، وغيرهم.

الأسئلة

١– وازن بين القصة القصيرة والرواية من حيث الشخوص والزمان والمكان.

٢– مَن مؤلفو الروايات الآتية؟

فتاة من فلسطين، الضحك، زينب.

٣– علل ما يأتي:

أ – تتصف الرواية بالتشويق وتنوع الأساليب.

ب– ميل الرواية الحداثية إلى العمق والتعقيد.

جـ– يعد عنصر السرد من أبرز عناصر الرواية.

د – بلغ نجيب محفوظ بفن الرواية ذروة الإبداع.

٤ – ما وظائف الطرق السّردية في الرواية؟

٥ – للرواية أصولٌ في التراث العربي القديم، بين ذلك.

٦ – ما الرواية الرائدة بالمفهوم الفني الحديث للرواية في الأدب العربي الحديث؟علّل إجابتك.

٧ – تعدّ رواية تيسير سبول «أنتَ منذ اليوم» بداية مرحلة مهمة في تأسيس الرواية الحديثة في الأردن، لماذا؟

٨– ما دلالة اعتبار الرواية من أكثر الفنون الأدبية انتشارًا وشهرة؟

٩– بين دور الروائيين الحداثيين في تطور الرواية العربية.

النشاط

- عد إلى الشبكة العالمية للمعلومات، واكتب اسم رواية واحدة لكلٍّ من:
  أيمن العتوم، سالم النحّاس، سحر ملص، ليلى الأطرش، هزاع البراري، يوسف ضمرة.

سادسًا: المسرحية

فن أدبي يقوم على فكرة الصّراع بين متناقضين، تنجزها شخوص تحيا وتروي قصتها أو تعرض قضيتها عن طريق الحوار، وهي بهذا تختلف عن القصة، فالقصة يروي أحداثَها كاتبُها، والمسرحية قصة حوارية قابلة للتمثيل المسرحي ويصاحب تمثيلها مناظر ومؤثرات مختلفة، ولذلك يراعى فيها جانبان: تأليف النص المسرحي، والتمثيل الذي يجسم المسرحية أمام المشاهدين تجسيمًا حيًّا. وقد نقرأ المسرحية مطبوعة في كتاب دون أن نشاهدها ممثلة على المسرح، ولكنها مع ذلك تظل محتفظة بمقوماتها الخاصة.

وتقوم المسرحية على موضوع رئيس واحد تتمحور حوله منذ البداية حتى النهاية، دون تشتيت الانتباه بموضوعات ثانوية أو تفصيلات زائدة، كما ينبغي ألا تغرق في الوصف والتعليق؛ لأن ذلك يضعف البناء الدرامي ويفقد القارئ أو المشاهد صلته بالنص.

١- نشأتها

المسرح فن يوناني من أعرق الفنون وأقدمها، نشأ نشأة دينية، فقد كانت المسرحية تتناول الشخصيات العظيمة، بدأت بالآلهة عند الإغريق، ثم بأبطال من البشر تصورهم أنهم أنصاف آلهة، ثم صار الإنسان المميز – كشخصيات الملوك والأمراء – هو البطل، وتطور هذا الفن ليصبح أكثر الفنون تعبيرًا عن الإنسان.

تأثرت المسرحية بالتطور الذي لحق بفنون الأدب الأخرى، فظهرت تيارات مختلفة في المسرح الأوروبي في القرنين التاسع عشر والعشرين، بعد أن بدأ الفكر الإنساني يستقل في مواقفه ويتحرر من سيطرة التراث القديم.

وأول من أدخل الفن المسرحي إلى البلاد العربية هو اللبناني مارون نقّاش[١] الذي اقتبس هذا الفنّ من إيطاليا حين سافر إليها، وبدأ تمثيله باللغة العربية الدارجة، وكانت أولى المسرحيات التي قدمها لجمهوره العربي في بيروت هي رواية «البخيل» المعرّبة عن (موليير)، وذلك في العقد الرابع من القرن التاسع عشر الميلادي، فنالت إعجاب كل من حضرها، ثم أتبعها بعرض مسرحية أخرى هي «أبو الحسن المغفل».

بعد ذلك ظهر أبو خليل القباني[٢] فخطا بالفن المسرحي خطوة إلى الأمام، وقربه إلى الجماهير باختياره المسرحيات الشعبية مثل «ألف ليلة وليلة»، واتخذ من الفصحى لغة للحوار، ومزج فيها بين الشعر والنثر مع العناية بالسجع أحيانًا، وظل يقدم مسرحياته في دمشق في الأعوام (١٨٧٨– ١٨٨٤م)، ثم هاجر إلى مصر، وتابع تقديم مسرحياته فيها، وقد لقي فنُّه هوًى في نفوس المصريين واعترفوا له بالفضل في تثبيته.

ثم ظهر رائد المسرحية في الأدب العربي توفيق الحكيم الذي بدأ نشاطه المسرحي النثري بمسرحية «الضيف الثقيل» سنة (١٩١٨م) مستخدمًا أسلوب الرمز، حيث رمز بالضيف الثقيل إلى الاحتلال الإنجليزي، ثم ألف مسرحية «المرأة الجديدة»، ثم المسرحية الرمزية الذهنية «أهل الكهف»، والمسرحية الاجتماعية «الأيدي الناعمة»، والتحليلية النفسية «نهر الجنون»، والمسرحية الوطنية «ميلاد بطل».

وقد أصبح فن المسرح من الفنون القيمة التي تقام لها المهرجانات، ويمنح مؤلفوها ومخرجوها وممثلوها الجوائز، لتفوقهم الإبداعي، ولقدرتهم في الفن المسرحي على تقديم صورة صادقة عن المجتمع العربي المعاصر.

٢– نوعا المسرحية

شاع نوعان للمسرحية من أيام الإغريق، هما:

أ – **المأساة:** وهي ترجمة للكلمة اليونانية (التراجيديا) التي تنتهي أحداثها بفاجعة، وهي عادة تؤكد قيمة إنسانية كبرى، وكانت بدايات التأليف فيها مقصورة على تصوير حياة

---

(١) مارون بن إلياس النقاش (١٨١٧– ١٨٥٥م)، ولد في صيدا بلبنان، كان أول من مهد الطريق لتشخيص الروايات على المسرح العربي بعد أن ساح في أنحاء أوروبا ورجع مغرمًا بفن التمثيل، فعرّب روايات عدة.

(٢) ولد في دمشق سنة (١٨٣٣م)، وتوفي سنة (١٩٠٣م).

العظماء، ثم أصبحت تتناول عامة الناس، وتتميز بالجدية، وحدّة العواطف، وصعوبة الاختيار في المواقف، وسلامة اللغة في الصياغة.

ب- الملهاة: وهي (الكوميديا)، وموضوعاتها تتناول المشكلات اليومية الواقعية، ويغلب عليها الطابع المحلي، ويعد عنصر الفكاهة عنصرًا رئيسًا فيها. ونهايتها غالبًا تكون سعيدة.

ولم يعد هذا التقسيم قائمًا في المسرح المعاصر، إذ قد تختلط فيه المأساة بالملهاة، فالحياة مزيج منهما.

٣- عناصر المسرحية

لا بد أن تتوافر في كل عمل مسرحي العناصر الآتية:

أ - الحدث المسرحي: تعتمد المسرحية مثل القصة على الحدث الذي يتناول قضية من قضايا الحياة بحيث يظهر هذا الحدث من خلال الحوار بين شخوصها.

ب- الشخوص، وهي نوعان:

١. شخوص رئيسة محورية: تدور حولها معظم الأحداث، ومن بينهم تبرز شخصية أو أكثر يطلق عليها اسم البطل، وهي الشخصية المحورية، وتعلق بها الأحداث منذ البداية حتى النهاية، ويجب أن تكون نامية متطورة (١).

٢. شخوص ثانوية: لها أدوار محددة مكملة للدور الرئيس الذي يقوم به الأبطال بحيث تدفع المسرحية إلى النمو باستمرار.

والكاتب في القصة ينبغي أن يرسم لنا صورة للشخصية من جانبيها الظاهري والباطني حتى نتعرف أبعادها، أما في المسرحية فإن الشخصية تظهر أمامنا ونحن نتعرف عليها عن طريق حركتها وكلامها، وتقاس مهارة الكاتب المسرحي بمدى نجاحه في تحريك شخوصه أمامنا، وإنتاج مجالات لها يبرز فيها سلوكها. أما إذا قدم لنا الشخوص في صورة ثابتة غير نامية، فهذا عيب يجعل من الشخصية (شخصية مسطحة) (٢) لا عمق فيها.

---

(١) الشخصية النامية المتطورة هي الشخصية التي يتم تكوينها بتمام القصة أو المسرحية، فتتطور من موقف لموقف، ويظهر لها في كل موقف تصرف جديد يكشف عن جانب منها.

(٢) الشخصية المسطحة هي الشخصية التي لا تتطور ولا تتغير ولا تتبدل مهما كانت المؤثرات والمتغيرات في القصة، ويتذكرها القارئ بسهولة.

جـ- **الفكرة:** وهي المضمون الذي تعالجه المسرحية، وما يهدف الكاتب إلى إبرازه من خلالها، وذلك بعرض صور من الحياة والعادات والتقاليد، ما يساعد على ترسيخ قيمٍ أخلاقية ومُثلٍ فاضلة.

د - **الزمان والمكان:** هما الإطار الذي تجري فيه أحداث المسرحية، وتحديدهما يساعد على فهم الأحداث، وتصور الجو النفسي والاجتماعي المسيطر على سلوك الشخوص.

هـ - **الحوار:** يتشكل منه نسيج المسرحية وتتنامى بفضله الأحداث لتبلغ منتهاها، وعلى الكاتب أن يلائم ببراعة بين أسلوب الحوار والشخوص، بحيث يجعله حيًّا معبرًا عن طبيعة الشخوص، كما أنه يحدد مجالها، ويصور ملامحها النفسية. إن لغة الحوار المسرحي لو فصلت عن التمثيل وقرئت مكتوبة لاحتاجت إلى حرص وعناية لفهم المقصود منها، فالحركة والإشارة وتتابع الحوادث، ومشاهدة الشخوص، وإدراك السياق، كل ذلك يعين على فهم المقصود من الكلام حين تمثل المسرحية على خشبة المسرح.

وحتى يكون الحوار جيدًا فلا بد من أن تكون (الجمل الحوارية) مناسبة لمستوى الشخصية، وقادرة على إيصال الفكرة التي تعبر عنها، وأن يكون الحوار متدفقًا وحارًّا، ومعبّرًا عن الصراع وطبائع الأشخاص والأفكار.

و - **الصراع:** هو العنصر الأساس في المسرحية، يقوم بين طرفين متناقضين، ويشكل عقدة المسرحية. وصورته الشائعة في المسرحيات صراع بين الخير والشر، ويبدأ طبيعيًّا بسيطًا، ثم ينمو ويشتد، حتى يبلغ الذروة، ثم يأتي الحل في نهاية المسرحية.

٤- المسرحية في الأردن

عُرف المسرح في الأردن في مطلع القرن العشرين عن طريق بعض المسرحيات التاريخية والدينية والاجتماعية وعدد من المسرحيات المترجمة، فضلًا عن بعض المحاولات في التأليف المحلي التي قام بها بعض الهواة في الأردن، وكانت هذه الأعمال المسرحية تقدم في الأندية والمدارس والكنائس والجمعيات الخيرية، وذلك للتعبير عن المشاعر الوطنية والقومية وإشاعة روح التصدي للغزو الفكري والثقافي الذي تعرض له وطننا العربي، إضافة

إلى توظيفها لأغراض تربوية تعليمية.

ومن أهم الأعمال المسرحية الأردنية المحلية «المضبوعون» لمحمود الزيودي، و«المأزق» لبشير هواري، و«دولة العصافير» لفخري قعوار، و«تغريبة ظريف الطول» لجبريل الشيخ، و«ألف حكاية وحكاية من سوق عكاظ» لوليد سيف، و«كوكب الوهم» لعاطف الفراية.

الأسئلة

١- وضح المقصود بكل مما يأتي:

الملهاة، المأساة، الشخصية المحورية.

٢- علل ما يأتي:

أ - يعدّ الصراع العنصر الأهم في المسرحية.

ب- تقاس مهارة الكاتب المسرحي بمدى نجاحه في تحريك الشخوص.

جـ- الكاتب المسرحي يلائم بين الحوار وطبيعة الشخوص.

٣- بين دور كل من: مارون نقاش والقباني في نشأة المسرح العربي.

٤- الحوار هو المظهر الحسي للمسرحية:

أ - وضح المقصود بالحوار المسرحي.

ب- ما شروط جودة الحوار؟

جـ- اذكر ثلاثة من الأمور التي تساعد على فهم الحوار المسرحي.

٥- وازن بين الرواية والمسرحية من حيث: الحوار، والشخوص.

٦- من رائد المسرحية في الأدب العربي؟ وما الآفاق المتعددة لمسرحياته؟

٧- ما علاقة الأدب المسرحي بالتمثيل؟

٨- في رأيك، لماذا لجأ توفيق الحكيم إلى استخدام الرمز في مسرحياته؟

قائمة المراجع

١ – إبراهيم السعافين وآخرون، **الرواية الأردنية وموقعها من خريطة الرواية العربية**، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ١٩٩٤.

٢ – إبراهيم الفيومي، **دراسات في الرواية والقصة القصيرة**، منشورات وزارة الثقافة، عمان، ١٩٩٧.

٣ – إبراهيم خليل، **مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث**، ط (٥)، دار المسيرة، عمان، ٢٠١٤.

٤ – إحسان عباس، **اتجاهات الشعر العربي المعاصر**، عالم المعرفة، العدد (٢)، الكويت، ١٩٧٨.

٥ – أحمد بدوي، **الحياة الأدبية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام**، ط (٣)، دار النهضة، مصر، ١٩٩٢.

٦ – أحمد هيكل، **الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط غرناطة**، ط (١٠)، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٦.

٧ – أحمد هيكل، **الأدب القصصي والمسرحي في مصر**، ط(٣)، دار المعارف، ١٩٧٩.

٨ – امتنان الصمادي، **شعر فؤاد الخطيب في الثورة العربية الكبرى**، مطبعة الجامعة الأردنية، عمان، ٢٠١٠.

٩ – أمين سعيد، **الثورة العربية الكبرى: تاريخ مفصّل جامع للقضية العربية في ربع قرن**، مكتبة مدبولي، ١٩٩٧.

١٠ – جعفر العقيلي ومحمود الريماوي ويوسف ضمرة، **القصة في الأردن من الريادة إلى التجديد**، ط (١)، رابطة الكتاب الأردنيين، والصالون الثقافي الأندلسي، ودار فضاءات للنشر والتوزيع، ٢٠١٣.

١١ – حسين القباني، **فن كتابة القصة**، مكتبة المحتسب للنشر والتوزيع، عمان، ١٩٧٩.

١٢ – زكي مبارك، **المدائح النبوية**، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر، ١٩٣٥.

١٣ – سعد أبو دية وعبد المجيد مهدي، **الثورة العربية الكبرى قصائد وأناشيد**، دار الفكر، عمان، ١٩٨٨.

١٤ – سليمان الأزرعي، **الرواية الجديدة في الأردن**، وزارة الثقافة، عمان، ١٩٩٧.

١٥ – شوقي ضيف، **الأدب العربي المعاصر في مصر**، ط (١٠)، دار المعارف.

١٦ – شوقي ضيف، **عصر الدول والإمارات (الأندلس)**، دار المعارف، القاهرة.

١٧ – صابر عبدالدايم وحسين علي محمد، **فن المقالة دراسة نظرية ونماذج تطبيقية**، دار الكتاب الحديث، ٢٠١١.

١٨ – عبد الرحمن ياغي، **في الجهود المسرحية العربية من مارون النقاش إلى توفيق الحكيم**، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠١٤.

١٩ – عمر الدَّقّاق، **الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث**، دار الشرق العربي، بيروت، ١٩٨٥.

٢٠ – فادية حلواني، **تجليات ثقافة المقاومة في الشعر العربي المعاصر**، مجلة العلوم الإنسانية، جامعة بسكرة، العدد (٨)، ٢٠٠٥.

٢١ – محمد العطيات، **القصة الطويلة في الأدب الأردني**، وزارة الثقافة، عمان، ٢٠١١.

٢٢ – محمد عبدالغني حسن، **التراجم والسير**، دار المعارف، مصر، ١٩٨٠.

٢٣ – محمد يوسف نجم، **فن المقالة**، ط (٢)، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ٢٠١١ .

٢٤ – يوسف حسن نوفل، **بناء المسرحية العربية**، ط (١)، دار المعارف، ١٩٩٥.

تم الكتاب

بحمد اللّه تعالى